

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والروايات

تصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

٤ صفر سنة ١٣٥٦ - ١٥ إبريل سنة ١٩٣٧

العدد السادس

من أحسن القصص



فهرس العدد

الصفحة	المحتوى
٣٣٠	الحامى ... لحي دى موباسان ... بقلم أحمد حسن الزيات
٣٣٤	هتاف المساوية ... أفصوصة فرنسية ... بقلم ف. ف.
٣٣٦	كيف كنت عمّا ... أفصوصة مصرية ... بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى
٣٤١	مبارزة ... لتقولا تيشوف ... بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي
٣٤٥	من القاتل ... لأندرية وارنود ... بقلم الدكتور محمد الراجحي
٣٥١	في سبيل الزوجة ... لتوماس هاردى ... بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب
٣٥٧	يوميات نائب في الأرياف ... صور مصرية ... بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٣٦٣	الساحر ... لنشورلكوف ... بقلم الأديب نظمي خليل
٣٧١	صيد السمك ... للسكاتبه الانجليزية سرسفالد ... بقلم الأديب حسن حبشي
٣٧٤	اعترافات فتى العصر ... لأنفريد دى موسيه ... بقلم الأستاذ فليكس فارس
٣٨٠	الأوديسة ... لهوميروس ... بقلم الأستاذ دريني خشبة
٣٨٥	سر أبي الهول ... لموريس رستان ... بقلم الأستاذ خليل هندواوى

الأمين ، يؤدي كل سخرة ، ويلبي كل طلب ،
ويتبدل نفسه للنائب في كل ما جل وقل من
غير كلفة ولا حرج

ثم انفق في إحدى المغامرات البرلمانية
أن صار هذا النائب وزيرا ، فلم تمض ستة
أشهر على ذلك حتى عين جان مارين مستشارا
في مجلس الدولة

أصاب الرجل أول ما أصابه فكة من الصاف
والكبر طاش بها ليه وغاب فيها صوابه ، فكان
يحجوب الشوارع ولذته أن يظهر
للناس ، كأنهم يستطيعون أن
يعرفوا المنصب الذي صار إليه ،
بمجرد أن تقع أبصارهم عليه .
وكان يتصيد المناسبات ويترصدهم
الفرص ليقول لصاحب الخانات
وبائع الصحف وسائق المركبة :
أنا - ومنصبى مستشار
في مجلس الدولة - ...

ثم شعر بعد ذلك بالحاجة
الملحة إلى أن يحمي غيره ، كأنما
اقتضاء ذلك الشعور كرامة
المنصب ، وضرورة المهنة ،
وواجب القادر الكريم . فقدم
سنده وعونه إلى كل امرئ في
كل أمر ، وبسط عنانه في ذلك

حتى عفا على حاجة المحتاج وسؤال السائل . كان
إذا لمج في الشارع وجها يعرفه داف إليه في لهفة
وهشاشة ، ثم تناول يديه وسأله عن صحته وحاله ،

الحاجي

للكتاب القصصى جى دى موباسان
بتم احمد حسن الزيات

لم يكن جان مارين يقدر في حله ولا في وجهه
أنه سيكون يوما على هذه الثروة وفي هذه المنزل
وهو ابن محضر من محضرى الأقاليم . أرسله أبوه
إلى الحى اللاتينى يدرس الحقوق
كما يدرسها كثير مثله ، فكان
رحلًا من أحلاس مشارب
البيرة يفشاها واحدا بعد
واحد ، حتى اتصلت أسبابه
بطائفة من الطلبة الرغائين الذين
يستفرون أحاديث السياسة
وهم يتماطون أكواب البيرة .
واشتد إعجابه بتخليطهم وولوعه
بتحلاتهم ، فطلبهم في كل
مجلس ، وتبعهم إلى كل قهوة ،
حتى كان يؤدي عنهم ثمن
ما يشربون إذا كان في كيسه
فضل . ثم عالج المحاماة فلم يفلح
في قضية من القضايا التي
دافع عنها



موباسان

وفي ذات صباح قرأ في إحدى الصحف أن
رفيقا من رفاق الحى اللاتينى انتخب عضوا في
مجلس النواب ، فأصبح له الظل الملازم والكلب

وقال له قبل أن يسمع الجواب عن سؤاله :

تعرف أنى مستشار الدولة ، وستجدنى إن شاء الله عند حاجتك ؛ فعمل على بما شئت فى غير ضيق ولا تخرج ؛ والمرء فى مثل منصبى طويل الباع عريض المقدرة ثم يعمل بكل من يقابله هذه المقابلة ، ويسأله هذه المسألة ، إلى القهوة القريبة ، فيطلب قهوا ودواة وورقا من أوراق الرسائل « ورقة واحدة ، يا غلام ، فانى أريد أن أكتب كتاب توصية »

كان يكتب فى اليوم الواحد من عشرة كتب إلى خمسين كتاباً فى التوصية ، فلم يدع قهوة فى العاصمة إلا كتب فيها ، ولا موظفاً فى الحكومة إلا كتب إليه ، وكانت بذلك رضى الصدر موفور السعادة

فى صباح يوم من الأيام كان فى طريقه إلى مجلس الدولة فأمرت السماء ، فراودته نفسه أن يركب مركبة ولكنه لم يفعل ، وأثر أن يبلغ مكتبه على قدميه . ولكن الغيث انسكب مدراراً فشرقت به الطرق وغرقت فيه الأفاريز ، فاضطر السيد مارين أن يلوذ منه بأحد الأبواب ؛ وكان قد لجأ إليه قبله قسيس شاع المشيب فى رأسه ولحيته ، والسيد مارين كان يكره رجال الاكليروس ، فلما صار مستشاراً أصبح يحبهم ، لأن أحد الكرادلة جاء فى أدب واحترام فاستفتاه فى مسألة عويصة

كان المطر لا يزال ينهمر غزيراً ، فدفع بالرجلين إلى مأوى البواب بتقيان به الليل ، وكان فى طبع السيد مارين حافز يشبه الحكمة يفريه دائماً بالكلام ليرفع من شأنه ويدل على نفسه ، فقال :

— هذا يوم فظيع يا سيدي القس

فأخنى القسيس الشيخ وقال :

— نعم يا سيدي ، وهو أظع على من يقدم إلى

باريس يقضى فيها بضعة أيام

— آه : أنت من الأقاليم ؟

— نعم ياسيدي وما أنا فى باريس غير عابر ...

— لا جرم أن هذا الوابل الهتون يثقل على نفس

العابر الذى يريد أن يقضى فى العاصمة بضعة أيام ؛

أما نحن معشر الموظفين الذين لا يبرحونها طول العام

فلا نكد نعبأ به ولا نفكر فيه

لم يجب القسيس وإنما أخذ ينظر إلى الشارع

وقد خف هطول المطر ، ثم شرع فجأة يشمر

مسوحه عن ساقيه يريد أن يعبر الطريق كما يفعل

النساء حين يردن عبور الجدول . فلما رآه السيد

مارين يريد الانطلاق صاح به :

ستبل نفسك ياسيدي القس ، فتنهل قليلا فقد

أوشكت السماء أن تقلع

فوقف الشيخ المتردد وهو يقول :

— أنا يا سيدي على حد عجلة ؛ وإن عندي

موعداً لا سبيل عنه ولا وقت له

فتبين فى وجه السيد مارين الكدر ، وقال

للقسيس : إنك ستعبر الطريق لا محالة . ولكن ،

هل أستطيع أن أسألك إلى أى الأحياء تريد أن

تذهب ؟ فتردد الخورى ثم قال :

— إنى ذاهب إلى جهة (الباليه رويال)

— إذن أستطيع ، إذا سمحت يا سيدي ، أن

أقيك الليل عطريتي ، فانى ذاهب إلى مجلس الدولة

وأنا مستشار فيه

فرفع الشيخ القسيس إليه أنفه وجلى فيه بعصره ،

ثم قال : قبأت ياسيدي ، وأشكرك جزيل الشكر

حينئذ أخذ بذراعه ومشى يجره ويسدده

ويرشده وينصحه :

« خذ حذرك ياسيدي القس من هذا المسيل .

اتق على الأخص عجلات المركبات ؛ إنها ترشك أحياناً من قدمك إلى رأسك . اجمل بالك لطريات المارين فلا شيء أخطر على المين من أطراف حديدتها ؛ والنساء على الخصوص أشق على السائرين في ذلك ، فانهن لا يحفان بشيء ولا يلتفتن إلى أحد ، وقد يفرسن في حر وجهك أطراف مظلالتهم أو مطرياتهم . وهن عشين لا يبالين كأنهن يملكن المدينة ، فهن يحكن على الافريز وفي الشارع . وفي رأي أن تربتهن مهمة أو مغفلة .

ثم جمل المستشار الناصح بضحك والخورى الشيخ صامت لا يجيب ؛ إنما كان يسير معنى القامة يتحسس في عناية وحذر موضع خطوه حتى لا يبلوث نعله ولا ثوبه

استأنف السيد مارين الحديث قال :

إنك قدمت إلى باريس لتلهو فيها قليلاً ولا شك . فقال له القسيس في سذاجة :

كلا ، إنما قدمت في عمل

— آه ! وهل هو عمل مهم ؟ وهل لي أن أسألك عن موضوعه ؟ إذا رأيت أني أنفعك بنافعة فاني طوع أمرك

بدا على الخورى الارتباك ونم حله عن القلق فقال مغفلاً :

أوه ؟ إنها مسألة صغيرة شخصية ؛ هي مشكلة نافهة مع ... مع مطرائي ، إنها لا تعنيك ... مسألة داخلية من ... من نوع الكيرومي فبادره السيد مارين بقوله : ولكن مجلس الدولة هو الذى يقضى في مثل هذه الأمور . فاعتمد على في شأنك . فقال القسيس :

نعم ياسيدي وأنا ذاهب إلى هذا المجلس . إنك طبيب القلب جم المروءة . إن مسألتى بين أيدي السادة لوربير ، وسافون ، وبتيبا

فقال السيد مارين في اهتمام ولهفة :

— ولكنهم ياسيدي القس من صفوة أصدقائي ومن خيرة زملائي . وكلهم ظريف الطبع عذب الخلق . فاحمل على من أمرك ما تحب . وسأكتب إلى ثلاثتهم كتب التوصية بك لا آلوهم فيها تأكيداً ولا شفاعاً . فأقبل القسيس يشكرو ويمتدرو ويتضرع والسيد مارين يقول له في غبطة وزهو :

إن من حقت أن تفخر بمثل هذا الحظ الناهض ياسيدي القس ؛ وسترى أن قضيتك بفضل ستسير من غير حائل ولا شاغل

فلما بلغا دار المجلس صعد السيد مارين إلى مكتبه وقدم إليه كرسي أمام المدفأة وجلس هو على مكتبه وطفق يكتب :

« زميلي العزيز : ... اسمح لي أن أوصيك خير أرجل فاضل من رجال الدين ومن أوفرهم كرامة وأكثرهم جدارة هو القسيس ... » ثم قطع الكتابة وسأل :

— اسمك من فضلك ؟

— القسيس سانتور

فعاد السيد مارين يكتب :

« القسيس سانتور ، وهو في حاجة إلى جميل عطفك ونيل عونك في مسألة صغيرة سيحدثك عنها : أنا سميد بهذه الفرصة التي سمحت لي بإزميلي العزيز أن ... »

ثم ختم الكتاب بالتحية المعروفة ...

ولما حرر ثلاثة الكتب وطواها ألقاها إلى صديقته ومحبيته فأخذها ومضى وهو يلهج بالثناء ويلهث بالشكر

أتم السيد مارين عمله ، ثم انقلب إلى بيته ، فقصى نهاره رخي البال ، ونام ليلة قرير الجفن ، ثم استيقظ صباحه منشرح الصدر ، فدعا بصحيف

هتاف الهاوية

اقصوصة فرنسية

واهتزت الصخور وفتحت الهاوية فاهما ، فتساقطت الجنود فيها في أقل من لحظة ، وتراجع من بقي إلى الوراء وهم يسمعون صراخ رفاقهم يصعد من الهاوية بأعين يفتت الأكباد . وساد السكوت بعد برهة ، فرجعت الوديان صدى عويل الشجعان ، وقد تواروا عن الأبصار في ظلام هاوية لا قرار لها

ومرت الساعات وقد عاد كل من الفريقين إلى معسكره وأحى القوى ، وقد خارت العزائم أمام هذه الكارثة ، وتضعض الرأي في إنقاذ ضحايا الهاوية وعند الساعة التاسعة قبل الظهر دخل معسكر الفرنسيين رسول من قبل (ولنجتون) وطلب الثول أمام المارشال ناي ، وكان هذا منفرداً في مضربه غارقاً في لجج التفكير يتقطع قلبه حزناً . فتقدم الرسول ووقف بين يديه وقدم إليه رسالة من مولاه ، فأخذها من يده وتلاها كأنه مستفيق من حلم عميق ثم نادى أحد القواد وقال له :

— أعد فرقتك لتسير معي إلى الجبل

وما مضت دقائق معدودة حتى كانت الفرقة تتسلق الجبل بقيادة المارشال . فلما وصلوا إلى القمة رأوا ولنكتون في انتظارهم وحوله قواد جيشه ، وكلهم واجهون . فقال ولنكتون لناي :

— إنك مهم ولا ريب بأمر الشجعان الذين ابتلهم هاوية الكوبا هذا الصباح . وأنت تعلم أن العداء يقف عند الكوارث ؛ فلنتعاون لعل بين رجالك ورجال أحياء يمكن إنقاذهم من هذه الميته الشنعاء وتقدم ناي إلى ولنجتون وصاحفه قائلاً :

— كان علينا أن نفكر في هذا الأمر دون تأخير ، ولكن الاضطراب جمد دمي ، وهذه هي المرة الأولى في حياتي التي أشعر بها برعشة الخوف وتقدم الجميع إلى فوهة الهاوية ، وكانت الشمس المحرقة تمكس أشعتها على الصخور البيضاء ، والهواء

كانت الجيوش الانكليزية معسكرة على قمة جبل الكوبا متحصنة في مراكز منيع ، لا تحسب للحملة الفرنسية حساباً ، وكانت هذه الحملة تدور بقاعدة الجبل ولا يعلم قوادها كيف يتدبرون الأمر ، حتى رأى القائد الأكبر (ناي) أن يجمع الجيوش وينظمها ليقذف بها الجبل النيع . ودوت الوديان بصوت النفير المعلن الهجوم ، فاندفعت الكتائب تتسلق الصخور كأنها محمولة على أجنحة ترفعها رفعا في الهواء

وما مضت ساعة حتى كانت عساكر ناي وعددها أربعة آلاف مقاتل تحديق بالانكليز على قمة الجبل ، فذعر الجيش المرابط لهذا الهجوم المفاجيء فأصلوا المهاجمين من مدافعهم ناراً حامية ردتهم لأول وهلة على أعقابهم ، فلم يمد يرى على تلك المرتفعات المانقة القيوم إلا أشلاء تتطاير في الجو ، ولم يمد يسمع إلا الأنين يخفقه إرعاد البارود يعقد بدخانه السكثيف قباًبا تسمى الميون . وكان كلما أبادت المدافع صفاً من صفوف الفرنسيين يتقدم غيره من ورائه ليتقبل الموت . ونفدت الذخيرة ، فصمتت المدافع ، وبدأ الدخان ينقشع عن الموقع ، فخشى الانكليز ارتداد الأعداء عليهم فعادوا أدراجهم مدبرين

وارتفع صوت المارشال ناي هاتفاً بجنوده :

— هيا إلى الأمام !

فتراكضت الكتائب لاحقة بالأعداء معملة فيهم السيف حتى بلغوا منحدر الجبل للجهة الثانية ، فارتجفت الأرض تحت أقدام التراجعين والمهاجمين

هذه الوهاد العميقة نخلص منه رجالنا ؟
وتقدم القس الى فوهة الهاوية ، ثم تراجع وقد
كلل جبينه العرق وامتعق لونه ، فقال أحد القواد :
لقد زلزلت الأرض فجأة تحت أقدام الجنود
فتدحرجوا في هذه الهاوية
وقال ناى : لقد سقط أربعائة من شجعانى في
هذه الحفرة

وقال ولنكتون : وألف من شجعانى ابتلعهم
هذه الحفرة أيضاً

وعاق الجمع الانظار على شفتى القس منتظرين
ارشاده ، فاذا هو يسقط جانبا ونهمر من عينيه
الدموع وهو يتمتم بصلوات الأموات
وكان الجنود أرخوا من الجبال اربعائة متر ولم
يبق لديهم منها سوى عشرة أمتار ، فاذا بصوت
ضعيف كأنه الهمس خارج من القاع يقول : أرخوا
الجبال أيضاً

وأرخت الأمتار الباقية وربط الجبل في
نتوء من الصخر ، فخرج من الهاوية صوت يقول :
لا يمكننى أن أتقدم بعد ، إننى أسمع صراخاً
وعصفت الريح في القاع فانقطع الصوت

متلاشياً في المدير
وتقدم المارشال ناى الى الشفير ونادى بأعلى
صوته : أيها الشجاع ! ماذا تسمع ؟

وساد السكوت ، والرعب عملاً النفوس ، ورفع
السكاهن يده وبارك ، فانكشفت الرؤوس بخشوع
وجثا الجنود مصليين وهم ينتظرون الصوت الأخير

وكان الشجاع المدلى بطرف الجبال لم يعد يقوى
على رفع صوته لشدة البرد في القاع العميق ، فدفع
حشيرة أخيرة أوصات هذه السكاهن الى الشفير :
« أسمهم بنادون : فليحي الأمبراطور ... »

(ف . ف)

البارد يتصاعد من القاع السحيق . وأحنى القائدان
الكبيران رأسيهما ، فعلا وجههما الاصفرار ، إذ
وقفت أنظارهما في القمر البعيد الغور على لبد الظلام
وقال المارشال : يجب أن ندلى أحد الجنود
ليرى ما حل برفاقه . وانتفت إلى أحد القواد قائلاً :
أحضر الجبال وانثنى برجل

وخرج من الصفوف جندي فرنسى طويل
القامة ، وهو يتسم مفتخراً بالتضحية في سبيل
إخوانه ، تفلح سترته ، وربط وسطه بطرف الجبل
الطويل ؛ وبعد أن رفع يده بالسلام أمام المارشال وضع
رجليه على فوهة الهاوية ، وبدأ الجنود يرخون الجبل ،
وعندئذ تقدم أحد الجنود الانكيز طالباً النزول
إلى الهاوية أيضاً ، فقال ناى لوانكتون : لا يرسل
في مثل هذه المهمة عدوان ، فقد يشتبك في
المنحدر بمراك يحول دون بلوغنا النتيجة التي نتوقعها
فأطرق ولنكتون وتراجع الجندي الانكليزي
إلى صفه . وكان الجنود يصلون الجبل بحبل آخر ،
وبثالث ورابع ، حتى شعروا بوقوف الجذب من
الاعماق . فنادوا جميعهم بصوت واحد :
— ماذا ترى ؟

فأجابهم صوت الهاوية كأنه صدى بعيد :
لا أرى شيئاً ، أرخوا الجبال أيضاً

واستمر الجند على إرسال الجبال وقد خفت قوة
الجذب ، فاستدل القواد أن الشجاع يسير على مهل بين
الصخور متلمساً سبيله على مقاو لم تطأها أرجل بشر
وما مضت دقائق حتى أصبحت الجبال تلوح
في الفضاء كأنها لا تحمل شيئاً ، فوجم ولنكتون
وقال : أحضروا القس الذي وجدناه هذا الصباح
على سفح الجبل فلعله يعرف منفذاً لأخراج رجالنا منه
ومثل القس أمام القائدين فقال له ولنكتون :
أنت من أبناء هذه البلاد ، فهلا تعرف منفذاً بين



جداً ولكن احذر أن تفاضلها «
 فسألتهما : « هل سأكون عمها هي أيضاً ؟ »
 فضحكت وقالت : « ستكون عمنا اليوم ...
 واحذر أن تغلط »
 « ولكن سأغلط على التحقيق ، إن العمومة
 حادث جديد في حياتي ، فاذا أخطأت في تمثيل الدور
 فلا عجب ... لم أندرب عليه قط ... هل قلت
 خطيئتها ... أم حبيبها ؟ »
 فقالت : « بأسلام ... وما الفرق ... ؟ شيء
 غريب »
 قالت : « صحيح لا فرق ... ولكن عمك ؟
 كيف يمكن ألا أغلط ... ثم إنها مهمة صعبة ...
 لا أشعر أنني سأرتاح إليها »
 فقالت بدلال سلبني كل قدرة على المقاومة :
 « كن ظريفاً ... كالمادة »
 فضحكت مسروراً وقالت : هل يسمح لي أن
 أكون عمًا ظريفاً ؟ »
 قالت : « لا مانع . ولكن احذر أن تفاضلها »
 قالت : « لقد شوقني إليها ... أغريبتني بها . فهل
 هي حقيقة ظريفة ؟ ... أعني تستحق أن أرضى من
 أجلها وفي سبيلها أن أكون عمًا ؟ »
 قالت : « جدا ... موت ... »
 قالت : « يا حفيظ يارب ... والآل يابنت الأخ

« كن ملاكا ... »
 « بغير جناحين ؟ »
 « وافتح البوابة »
 « آه ... أفتح البوابة لتخرج السيارة »
 « كيف عرفت ؟ »
 « بذلكاني ... ألم أقل لك إني ذكي ؟ »
 فرمت إلى نظرة من عين ساجيسة ثم قالت
 بابتسام نعالج أن تمنع أن ينقلب قهقهة عالية :
 « كن ملاكا ... »
 فوقع في روعي من ابتسامتها أن في الأمر ما لا
 يدخل في طوق الملائكة ، فزمت ولم أقل شيئاً ،
 وغالبت هي الضحك ثم قالت :
 « وكن اليوم عمي »
 « عم ... عم ... عمك ... يا خبر ... »
 قالت : « اسمع ... إن لي صديقة تريد أن
 تخرج لتلقاء خطيئتها ، ولكن أباه لا يدعها تخرج
 وحدها ، وقد انفقت معها على أن أمر بها لنذهب
 إلى السينما ... فهل فهمت لماذا أريد منك أن تكون
 اليوم عمي ؟ »
 فقالت وأنا أتوجع : « فهمت أنني سأذهب
 إلى سينما لم تسكن لي على بال ، وأني سأمثل دوراً لا
 أرتاح ... من هذه الفتاة ؟ »
 قالت - كأن هذا جواب السؤال - « جميلة

الله في عمره الى زمن غير زمنه ... » وقالت له :
أرجو ألا تكون درجات السلم كثيرة ... قالت
السلام تتبعني ... جداً ... »

فطمأنني الرجل وأكد لي أن الدرجات ثلاث
فقط - ودار وعدّها - وأشار الى حجرة ، وأوما
الى أن أدخل ، فاذا فيها فتاتان - التي جعلتني عمها
والأخرى التي سأكون عمها - أغنى التي تريد أن
تخرج لتلقى حبيبها أو خطيبها ... سيان كما قالت
صاحبتى ... وحددت في وجهها وأنا أسلم عليها
وأطلت النظر اليها وأبقيت يدها في يدي ، وأنا
أسألها عن صحتها ، وأثنى على بيتها وأذم لها الطريق اليه
وكانت كفها رخصة ووجهها حلواً سمحاً
وعيناها واسعتين ولونها صافياً وقدها رشيقياً

وجلس الرجل الى جانبي يحيدني
ويرحب « بالعم » ، وجاءت خادمة « بالماشوراء »
فاعتذرت وقالت إن معدتي لا تهضمها وإني أظن
أني شحيت ، فقال الرجل : « العفو » وقالت
صاحبتى : « حسيح .. معدته ضعيفة .. والطبيب
ينهاه دائماً عن أكل شيء بين الوجبتين » ، وجاءت
القهوة ونارلوني فنجانة ، فصببت القهوة من الفنجانة
في الطبق ، كما رأيت بعض الشيوخ يفعلون ، وكان
هذا أبرع ما وفقت إليه في أدائي لدور العم ؛
وكانت صاحبتى تغالب الضحك بجهد ، ثم تنظر إلى
وتعض شفيتها محذرة من الغلط ، ثم سألتني الرجل
عن السينما التي اخترتها ، فقلت له : « ياسيدي لقد
ألحت هذه البنت للمعونة (والعمومة تسمح بهذه
للمعونات) أن آخذها إلى السينما مع صديقة لها
فاعترضت لأنى لا أكتمك أنى لا أطمئن إلى
الصداقة بين البنات ، ولكنى أحمد الله .. حمدته
وشكرته لما رأيته .. شعرت بالاطمئنان فما يمكن
أن تكون بنتك إلا فتاة مهيبة .. (وهنا شكرني

العزير - وإن كنت لأعرف لك أخاً ولا أختاً -
تفضلني وتخلي عن القيادة ... »

قالت : « لماذا ؟ ... إني أحب أن أقود
السيارة ... هل أخطأت ؟ ... »

فتركت سؤالها بلا جواب ، وقالت بلهجة
الاعمام : اسمي السكلام يا بنت ... »

فضحكت ومالت بالسيارة الى الرصيف وتخلت
لي عن مقعد السائق

وبلغنا البيت - لا أدري كيف ولا من أين
فقد أطاررت صوابي كثرة التعاريج وضيق الحارات ،
واسكن البيت كان في فضاء رحيب وإن كان غير
نظيف . وزلت هي وبقيت أنا في السيارة . ومضت
دقائق وأنا أفكر في عمها وفي الفتاة التي ستقول لي
« يا عمي » ، وفي كيف أطيق الصبر على هذه
العمومة ، وإذا بفتى يقول لي : « تفضل يا عمي »
فصحت به - فقد فاجأني - « إيه ؟ .. » وكان
مؤدباً مهيّناً ووسياً قسماً فحدثت نفسي أن الفتاة
التي ستدعوني عمها لا بد أن تكون جميلة - إذا
اطرد القياس ، وتنهدت لأنى سأكون عمها أيضاً ...
ولعمومة قيودها ، ولا بد من الاحتشام ... فلا حول
ولا قوة إلا بالله !

وقال الفتى : « تفضل حتى تلبس أختي »
فشكرته وأغلقت أبواب السيارة فوجدت كان
الأطفال كثيرين في الحارة ، والأطفال ملاعين
يمبثون بكل شيء كما كنت أفعل لما كنت طفلاً ،
ومشيت وراءه الى بيت حديث البناء ، فاستقبلاني
وراء الباب رجل وقور ظننته أول الأمر من
السكان ، ولكنه مديده الى وقال - كما قال الفتى -
« تفضل » ، فقلت لأنفسي : « إن تمثيل دور العم
ينبغي أن يبدأ هنا ... حالا ... فان هذا الرجل
الطيب لا بد أن يكون هو الأب السني الذي مد

ودرنا نبهت عن بيت الخطيب — أو هكذا ظننت ، ولكن الحقيقة أننا سررنا به ، وأن الفتاة رأته في الشرفة غير أنها خجلت أن تدعو عمها إلى الوقوف وتنزل ، وأحسست أن جوال السيارة لا يخلو من ركود ، فوقفت في بعض الطريق واتجهت إلى الفتاة وسألها : « هل عرفت البيت ؟ . وهل رأيت فيه صاحبك ؟ » فهزت رأسها أنت نعم واضطرم وجهها — حياء على ما أظن — وتولت صاحبتى الكلام والايضاح ، فقلت لها : « حسن . ابقيا أنما هنا وسأزل إليه »

ولما وقفت عيني عليه وهو واقف في الشرفة ومعه أخته أشرت إليه أن ينزل فلم يفهم ، فصحت به : « تعال ... أيوه انت ... » وسلم مرتبكا وقال : « أفندم »

فقلت بمنف : « لا أفندم ولا يحزنون ... كيف تكلف الفتاة أن تقطع إليك الكرة الأرضية ولا تجشم نفسك عناء السى إليها ؟ ... ثم إن أباه لا يمكن أن يقبل »

فقاطمني وقال بلهفة : « هل يعرف ! ... » قلت : « اسمع ... هذه الملائكة يجب أن تكون رسمية علنية وإلا فالواجب أن تنقطع ... الآن » وقال بصوت خافت : « بالطبع »

فالتفت إليه وقلت بصرامة : « بالطبع ماذا ؟ ... تقطع ؟ ... أو تستمر على وجه القبول ؟ »

قال : « تستمر بالطبع ... إني أريد أن أتزوجها »

فوقفت وسألته : « وماذا يمكنك ؟ . إن الزواج ليس من وسائله هذه المقابلات السرية التي لا يعلم بها والدها ... والآن تعال وأطمني ... مضيت به الى السيارة وكان يعيش مطأطأ

واستغفر الله كما لا أحتاج أن أقول) فرأيت أن أختار شريطاً غير غرامى . . آثرت شريطاً من الأشرطة البوليسية . . وهى كلام فارغ ، ولكنها خير وأسلم عاقبة من الأشرطة الغرامية ، وأظن أنك توافقتى . . أليس كذلك ؟ »

فوافق وشكر وأكده أنه تشرف بمعرفتى ، ولا أكنتم القارىء أنى خجلت منه فى هذه اللحظة وأن نفسى حدثتني أن أصارحه بالحقيقة من أولها إلى آخرها ، ولم يصدقني عن ذلك إلا التخرج من الزج بنفسى فى مازق آخر لا يسهل الخروج منه ، وإذا صارحته بأنى لست عمّاً ولا قريباً فاذا يكون موقفى . . بل ماذا يكون موقف صاحبتى التى جاءت بي إلى هنا وادعت أنى عمها . . ثم إني أريد أن أرى هذا الحبيب أو الخطيب — سيان — الذى تريد أن تلقاه وتحتال هى وصاحبتى على هذا النجوى المخرج — لى — لتلقاه ؟ وقد أستطيع أن أصنع خيراً إذا رأيته فإن لى لفراصة

وأخيراً نهضنا ، وركب معنا الفتى — أعنى أخاه — فاحتفظت أمامه بمقتضيات العمومة على فرط ثقلاها حتى تركنا حيث يريد ، وكانت الفتاتان على المقعد الخلفى ، فلما نزل الفتى وأمنت أن يسمعهنى قلت لهما وأنا أمضى بالسيارة على غير هدى : « هل أتقنت دور المم ؟ » ، فضحكت الفتاتان ، نفيل إلى لحظة أن الفتاة التى جئنا بها تعرف أنى لست عمّاً ولا ابن عم ولكن صاحبتى قالت شيئاً فهمت منه أنها تريد أن أمضى فى تمثيل الدور فسخطت وقالت : « والآن إلى أين بنا » ، فقالت الفتاة الجديدة : « إلى ... من فضلك ... أعنى إذا سمحت » ، وقالت الأخرى — صاحبتى — « بالطبع ... إن عمى سبور ... » ، وضحكتنا من هذا المم « الاسبور » ، ومن حقهما أن يضحكا . .

قلت : « لا شيء ... اطمئني ... ولكن
أطيعيني بلا سؤال أو تردد »

وأنا رجل لا أحب التلصؤ ولا أطيق البلادة .
ولا صبر لي على التلوي واللف والدوران . وإيماني
عظيم بأن الخط المستقيم هو أقرب مسافة بين
نقطتين . والذي يصنعه غيري في يوم أصنعه أنا في
لحظة لأن أعصابي لا تحتمل البطء . لذلك مضيت
إلى بيت الرجل وكانت كل من الفتاتين تسألني :
« إلى أين من هنا ؟ » وكانتا أول الأمر تتمجبان
وتضحكان ثم وجهتا لما دنوت من البيت وانتفي كل
شك في أنني أقصد إليه

وقلت للشاب وأنا أنزل وأجره : « تعال أعرفك
بأبيها ، فما أستطيع أن أستصحبك معها بغير ذلك ...
أعني بغير اذنه ... أفهم ؟ »

وكانت لهجتي صارمة أو قل انها كانت حازمة
وان خلت من العنف ، فسار معي . وجاء الرجل
مستغرباً عودتنا قبل موعد انتهاء السينما فقلت له
بلا تهديد : « هذا الشاب يريد أن يكون نسيبك ...
يحب بنتك هذه ... وأنا أعلم أن هذه مفاجأة ...
ولكني لا أدعوك الى تزويجه الآن ... إنما رأيت
من واجبي أن أخبرك ... وسيمطيك اسمه وعنوانه
ويحدثك عن نفسه وأهله وأصله وفصله فيما بعد ...
فاذا وافقت ورأيت أنه لا ذلك فهنيئاً لك وله والبنات
والاقارمه ... وقد أخبرتك بهذا ... فاجأئك به
لأنني لا أستطيع أن أدعه يصحبنا الى السينما بغير
علمك وإذنك ... فهل تسمح له بذلك ؟ »

وتشهدت لما سمعت الرجل - هذا الرجل
الوقور الطاب - ياذن لي في ذلك ويشكرني أيضاً ...
تالله ما أطيعيه ! ...

وعدنا الى السيارة فركبناها في صمت فقد
بهت الشاب واستعصى عليه الكلام . وله العذر .

الرأس . وأحسب أنني نغصت عليه هذا اللقاء ،
ولكنني لم أكن أستطيع غير ذلك فقد كانت
صورة الأب الوقور الطيب الذي لا يتخالجه ريبة
مائلة أمام عيني ، وقد ترك لي ابنته مطمئناً الى ومعتماً
بعد الله على . ولو كنت لم أدخل بيته ولم أروجه
ولم يأتني على فتاته لما أحسست أن على تبعة . وشق
على أن يكلفها هذا الفتى أن تذهب اليه في آخر
الدنيا ، وهو قاعد في بيته لا يتحرك ولا يسمي ، ولا
يبالي ما تتحمل الفتاة في سبيله من عناء وما تغريها
به الرغبة في لقائه من احتيال وكذب وخداع .
فنبوت أن أحسم الأمر

وهم بالركوب فحذبه من كتفه ، ونأيت به قليلاً
وسألته : « الى أين أولاً ؟ ... قل لي ماذا تنوي أن
تصنع ؟ إني لا أريد أن أضايقك ولكن هذه الفتاة
الساذجة في ذمتي فهل تستطيع أن تكون رجلاً ؟ »
فانقد وجهه وتلعثم ثم استطاع بجهد أن يقول
لي إنه رجل شريف وإنه لا يبنى بها سوءاً وسألني
وقد وجد لسانه : « هل حضرتك ... »
فقاطعت قائلاً : « لا يعبئك من أنا ... تعال ...
يكفيك أنني قد وثقت بك ... تعال »

فسره هذا . وهل هو إلا طفل ؟ .. وإني
لا أكون حماراً غيبياً بلبدأ إذا لم أستطع أن أستولى
على زمامه ... والتفت إلى صاحبتى ونحن راجعون
بالسيارة وقلت : « وأنت أيضاً ستطيعين عمك
فألت على وقالت : « إيه ؟ » قلت : « لا شيء ...
لقد شئت أن أكون لك اليوم عمّاً . فاستنكرت
أن أكونه في أول الأمر ولكن الدور حلالى ...
أعجبني ... فأنا الآن عم حقيقي ... سأظل عمّاً
ظريفاً ... ولكنني عم على كل حال فلا تنسى هذا »
فسألني بصوت خفيض : « ماذا جرى ؟
طمئني ... »

ودخلنا السينما فجلست بين الفتيات وجلس الشاب على يمين صاحبتة التي جماتها خطيبته برضاه أو على الرغم منه ، لا أدري ، فلم ذلك عند الله ؟ وكانت الفاتتان لا تعرفان شيئاً مما حدث لأنهما لم يدخلتا البيت ممنا ولم نقل لهما شيئاً في السيارة فقلت على صاحبتى وقلت لها : « الآن تستطيعين أن تهينى ... ما اسمها ؟ .. لقد صارت خطيبته حقاً وصدقاً ... لا كذباً يا مامونة ... »

فراحت تترثر وتسالنى : « ايه ... ماذا تقول ... ماذا حدث ... كيف كان هذا ... ماذا صنعت حين دخلت البيت ... ؟ »

فوضعت كفى على فمها . وكيف بالله كنت أستطيع أن أصد هذا الطوفان من الأسئلة بغير ذلك ؟ وقد وقف الطوفان ، ولكن اللعينة عضتني فكذت أصرخ لولا أننا في سينما . وتصبرت وتجللت واتجهت الى الشاب وقلت له وأنا أمد كفى المعضوضه : « بسها ... إذا كنت مسرورا » فباسها - بطنا وظهرا - مرة وثانية وثالثة . فاستحييت وانتزعها منه ، وحوات وجهي الى صاحبتى وذهبت أحدثها بما كان ، وإني لكذلك وإذا بالفتاة الأخرى تجذبني اليها وتدير وجهي الى وجهها وتطوقني بذراعيها وتقبل خدي ... أى والله ولا تستحي ... فدهشت ونظرت اليها ... ثم حوات وجهي عنها . فقد كانت الدموع على خديها وأعترف أني لم أر شيئاً من الشريط ... نعم نظرت ولكني لم أفهم ... لم يكن بالى الى ما أرى وكنت أفكر في هذه الفتاة وفي مصيرها مع فتاتها لو لم يلهمنى الله أن أكون مجنوناً وأن أصنع ما صنعت وهل يفعل هذا سوى مجنون ؟

ولكنه جنون أتمر خيرا
وقالت الخطيبة ونحن خارجون : « عمى ... لا تتركنا »

فتذابت وقلت : « هل سأظل عما لك أيضاً الى الأبد ... »
فجذبت ذراعى وقالت بلهجة المستعطف : « لا تتركنا ... فاهم »

قلت : « سمعت . وفهمت . وأطمت . »
قالت صاحبتى : « أما إنك لم ... »
فلم أقل شيئاً وفتحت أبواب السيارة وأشرت اليهم بكلتا يدي وقلت : « بيتك . بيتك . بيتك » كما يقال للدجاج

وتمشينا جميعا في بيت الرجل الطيب . ولكني قبل أن أتناول شيئاً من طعامه قلت له : « سأقول لك شيئاً . لست عما لهذه الفتاة . هي صديقة وجارة . أعرف أهلها جميعا من زمان طويل . وقد ألفت أن تدعوني عمها . حكم العادة فقط . وأنا أكره هذه العمومة ، ولذلك أخلمها أمامك ، وأرجو أن تعينني على التخلص منها . فما قولك ... ؟ »

وكانت يداي على ركبتي في انتظار حكمه ، فأحسست راحتين عليهما فالتفت فاذا الفاتتان تنظران إلى بابتسامة الرضى والسرور ، فرددت عيني الى الرجل استعجله بالحكم فقال : « تفضل ياسيدي تفضل »

فتشهدت ورفعت يدي الى المائدة لآكل وإذا بالخطيبة تنهض وتميل على عنقي وتقباي
كلا ... إنها فتاة لا تستحي ... أبدا ... أبدا
براهيم عبد القادر المازني



للكاتب الروسي ستقولا تيشوف
بقتله الأستاذ عبد الرحمن صديقي

كان ذلك في بكرة الصباح

و « فلاديمير كلادينوف » فتى وسيم ، مديد القامة ، في الثانية والعشرين من عمره ، كالغلمان مظهرآ ، له وجه مليح وشعر وحف أشقر ، يرتدى حلة الضباط ، وينتعل نعال الركوب الطويلة ؛ وكان واقفاً في صراج ممشوشب كساه متساقط الجليد ، وهو شاخص الى ضابط آخر ، وذلك الآخر رجل أسهل الشاربين ، بائن الطول ، محمر الوجه ، وكان مواجهآ له على مسافة ثلاثين قدماً وهو يرفع على مهل يده حاملة في قبضتها مسدساً يسدده الى فلاديمير

وكان فلاديمير واضعآ ذراعيه متشابكين على صدره ، حاملاً كذلك في إحدى كفيه مسدساً ، وهو ينتظر — انتظار من لا يبالي — طلقة النار يطلقها عليه خصمه . وكان وجهه الناضر الصبيح وإن غشيته مسحة من شحوب تنوقد الشجاعة فيه ويعلموه ابتسام المستخف . وكان موقفه الخطر ، وما يبدو على غميره من تصميم مبرم لا رحمة فيه ، وشدة الانتباه من جانب الشهود الواقفين صفآ واحداً بلا حس ولا حراك ، كل هذه مجتمعة جماتها لحظة بالغة الهول ، غامضة السكنة ، رهيبة

الوقع . إنها مسألة شرف يجب هنا القضاء فيها . وكان الجميع شاعرين بجلالها . وعلى قدر بعدهم عن إدراك ما هم صانعون كانت اللحظة تزداد رهبة على رهبة

وانطلقت رصاصة . وسرت في فرائض الجميع رعدة . وأرخى فلاديمير ذراعيه ، وثني ركبتيه ، وخر في مكانه . وهو على الثلج لقي ، وقد نفذت الرصاصة في رأسه ، منطرح ، وذراعه متباعدتان ، وشعره ووجهه ومتوسد الثلج تحت رأسه ، كاهما مزرجة بالدم . وهربول إليه الشهود فاحتملوه . وخصه الطبيب بقرر وفاته . وانحأت مشكلة الشرف وانفض أمرها . ولم يبق إلا إبلاغ الخبر الى الفرقة التي يتبعها الضابط ، وإبلاغ النمي بقدر ما يمكن من التلطف والتحرز الى الأم التي أصبحت من بعده وحيدة في الدنيا . فان الفتى القليل وحيدها . وهي لم تحظر قبل المباراة في بال أحد . أما الآن فالكل يفكرون ويطيعون التفكير . فالكل يعرفونها ويحبونها ويدركون أنه لا بد من التقديم لهذا النبا الفظيع عندها والتمهيد قبل إلقائه والتدرج في مساقه . وفي النهاية وقع الاختيار على « إيفان جوايوبنسكو » بوصف أنه أصاحهم جميعاً

لتبليغ الخبر للأُم وتهدوين الخطب جهد المستطاع

كانت « بلارجيا بتروفنا » قد استيقظت ساعتئذ من نومها . وكانت تجهز لنفسها شاي الصباح ، حين دخل الى غرفتها « إيفان جوليوبنسكو » مكتئباً مرتبكاً

وهبت السيدة المعجوز للملاقة ضيفها قائلة :
« لقد جئت في الأوان والشاي مجهز يا إيفان ! »
ثم أردفت : « إنك قادم لا محالة لترى فلاديمير ! »
فغمغم « جوليوبنسكو » مجفلاً : « لا ... إنما كنت ماراً ... »

— أنت لا بد عاذره ، إنه لا يزال نائماً لقد قضى سحابة الليلة الماضية يذرع غرفته جيئةً وذهاباً . وقد أوصيت الخادمة ألا توقظه ، فإن اليوم عطلة بمناسبة العيد . ولكن لملك آت في مهمة مستعجلة ؟

— كلا ، وإنما عرجت عليكم في سروري لحظة ...

— إن شئت رؤيته أمرت بإيقاظه

— كلا ، كلا لا تنكفي نفسك

ولكن بيلارجيا بتروفنا كانت معتقدة أنه قادم ليرى ابنها في أمر من الأمور . فخرجت وهي تتمتع بينها وبين نفسها

وجعل « جوليوبنسكو » يذهب ويجيء مضطرباً ، ويقلب كفيه ، وهو لا يدري كيف يبلغها الخبر الفظيع . لقد أزعجت اللحظة الحاسمة ، ولكنه لم يعد مالكا لنفسه بل مالكة الروح فهو يلعن الحظ الذي ورطه شر مورط في الأمر كله واستهلت « بيلارجيا بتروفنا » وهي تدخل

الغرفة مخاطبة زائرها سليمة السريرة طيبة النخيزة :

— وبمعد ! فكيف لامرئ أن يثق فيكم

أيها الشبان ؟ هأنذا أحاذر أن أحدث أدنى حس للأقداح وأطباقها ، واستسمحك في عدم إيقاظ إبنى ، فإذا هو قد مضى منذ برهة طويلة ولم يخلف أثرأ ! والسن ، لم لا تجلس وتشرب قدحاً من الشاي ؟ لقد أهملنا نشر الاهمال في هذه الأيام الأخيرة وابتسمت كأنما تنقسم عن سرور مخاصر ، وزادت بصوت خافت :

— كانت الأخبار كثيرة عندنا في تلك الآونة ، وما أحسب أن فلاديمير استطاع كتبها . ولا بد أنه أفضى بها اليك كافة بخفايرها ليومنا هذا . إن ابني فلاديمير مستقيم الطبع مفتوح القلب . واللييلة البارحة دارت بخلدی الظنون مع ما بها من إثم ! إذا كان فلاديمير إبنى يذرع الغرفة طيلة ليلته فعمناه أنه يفكر في « لينوتشكا » صباً بها ، مشوقاً اليها . وإن من مألوف عادته ودينه إذا ذرع الغرفة الليل طوله أن يعضى لا محالة في الغداة . آه يا إيفان لا أتمنى شيئاً على الله إلا أن يرزقني من لدنه هذه الفرحة بقربها عيني في هرسى . وما ذا أطلبه امرأة معجوز أكثر من هذا ؟ وليس لي غيرها أمنية وبشرى ؛ وإنه ليخيل الى أن ليس ثمة سؤال أرغبه بعد إذ يتزوج فلاديمير ولينوتشكا . إن في ذلك لغبطة لي وأيام غبطة ، وسعادة ما بعد ما سمادة . ومالى سوى فلاديمير من حاجة . وليس شيء أحب الى من هناءته

وكان من شدة تأثر السيدة المعجوز أن جمعت تكفكف الدمع قد اغرورقت به عيناها واسترسلت تتحدث إليه : « أو تذكر ؟

« إن لك عندي تحية ، لقد كتبت لينوتشكا فيها كتيبتة لي توصيني بأن أبلغ تحياتها إلى إيفان ، وأن أرجوه المحي مع فلاديمير لزيارتها ؛ فأنت ترى بنفسك يا إيفان مودتها لك ! لا وایم الله ، يظهر أنني لا أستطيع الاستئثار بهذا وحدي . لابد من إطلاعك على الخطاب ، ولتتظرن أنت لنفسك مبلغ ما فيه من محبة وعذوبة

وعاودت بيلاجيا بتروفنا البحث عن حزمة الخطابات في جيبها وسحبت منها طرسا رقيق الورق مفرط الكتابة ، ونشرته أمام إيفان جوايو بنك وقد زاد وجهه اكفهرارا ، وحاول إيفان أن يدفع عنه القرطاس الممدود ، ولكن بيلاجيا بتروفنا كانت قد أنشأت تقرأه :

(عزيزتي بيلاجيا بتروفنا — متى يثن الأوان الذي أخطبك فيه بغير هذا فادعوك بيا أي العزبة المحببة ! إنني أرقب ذلك اليوم متلهفة ، وإن أملی لعظيم بقرب حلوله حتى لست أحب دعوتك من الآن باسم غير يا أي —)

ورفعت بيلاجيا بتروفنا رأسها ، وتوقفت عن التلاوة ، ونظرت إلى جوليو بنك بعينين تملؤهما العبرات وقالت : « أترى يا إيفان ! » . ولكنها رأت جوليو بنكو بمضض شاربيه بناجديه ، وأن عينيه هو أيضاً مغرورقتان . فقامت وأقبلت عليه ، ووضعت يدها الزمعة على شعره ، وقبّلتها في هيئة فوق جبينه ، هامسة من شدة التأثر : « شكرا يا إيفان ! لقد كنت دائما أعتقد أنك وفلاديمير أقرب إلى الآخرين الشقيقين منك إلى مجرد صديقين . لا تؤاخذاني . إنني سعيدة أيما سعادة . والحمد لله سبحانه ! »

لم تكن الأمور في البداية جارية على أحسن حال ، سواء فيما بينهما أو فيما يتعلق بالمال . فأنكم معشر الشبان الضباط غير مسموح لكم حتى الزواج من غير مال مرصود . حسن ، لقد تم الآن إعداد كل شيء : حصلت على الخمسة الآلاف روبية اللازمة لفلاديمير . وفي الامكان ذهابهما إلى المحراب لعقد الزواج غداً غد . أجل ، وقد كتبت لي لينوتشكا خطاباً ما أطفه . إن قلبي جذلان مبتهج

وأخرجت « بيلاجيا بتروفنا » — وهي مسترسلة في كلامها — خطاباً من جيبها ، وأظهرته لجوليو بنكو ثم أعادته : « انها الفتاة محببة ! وناهيك من طيبة نفسها !

وجلس إيفان جوليو بنكو يتنصت إلى كلامها وهو على مثل الجمر . وقد أراد أن يقطع عليها هذا الفيض من الأحاديث ، ويقول لها إن كل شيء قد انتهى ، وأن فلاديمير ابنها مات وأصبح في خبر كان ، وأنه بعد ساعة واحدة لن يبقى لها شيء من هذه الآمال الزاهية . ولكنه أنصت إليها والنزم الصمت ، ونظر إلى وجهها الطيب اللطيف فأخذ منه الاشفاق عليها وإذا حركة تشنج تأخذ بكظمه وأخيراً سأله السيدة المعجوز : « ولكن ، مالي أراك اليوم متجهما ؟ ما بالك ، إن وجهك يبدو مكفهرًا كامداً كالليل !

وود إيفان لو يقول : « نعم ! وسيكون وجهك كذلك حين أخبرك الخبر ! » ولكنه لم يبلغها شيئاً ، واستماض من ذلك بأن أشاح بوجهه وجمل يقتل شاربيه

ولم تلحظ بيلاجيا بتروفنا شيئاً ، واستطردت وهي في أفكارها مستغرقة :

ضروب البطولة وسائر ما يسمونه مسائل الشرف على اختلاف ألوانها . وأخيراً هب من مجلسه وهو موطن النفس على التصريح أو الفرار . وأقبل ، فتناول — معجلاً ومن غير كلام — يد بيلاجيا بتروفنا وأمحنى بلسمها ، فأخفى بذلك وجهه عنها ، وإذا سيل من الدمع السخين المندرج بينهم فوقها . ثم انزع نفسه وانطلق لا يلوى على شيء ، وتناول عند الباب معطفه الكثيف وخرج من البيت دون أن يقول كلمة

ونظمت بيلاجيا بتروفنا وراءه مندهشة ، وقالت في نفسها : « لاشك أنه أيضاً عاشق ، مسكين ، كان الله في عونته . إيه ! إنها لوعة الصبا تلوعهم — ومن بعدها سمادة » ثم سرعان ما نسيت ، وغاب أمره عن بالها ، واستغرقت المجوز في أحلامها بالسعادة تتراءى لها محققة كاملة !
عبد الرحمن صرقي

استدراك

جاء في (مذكرات نائب في الأرياف) المنشورة في هذا العدد أن مدة المعارضة أربعة أيام والصواب ثلاثة

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

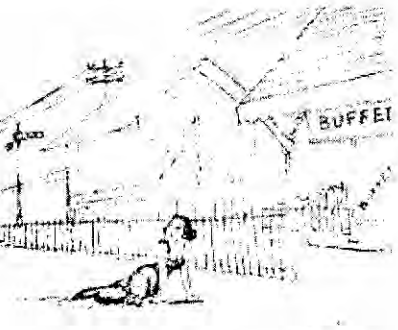
التمن ١٢ قرشاً

وفاضت الدموع على خديها . واشتد بايقان جوليو بنكو اضطرابه وارتماكه ، ولم يسمه إلا أن يأخذ بين راحتيه يدها الباردة المروقة ويكب عليها تقبيلًا . وكان مختنقا بالمعبرات فلم يستطع أن يلفظ حرفًا . ولكن هذه الفورة من الحب الأموي أشمرته بالتبكيك الشديد ، حتى لقد آثر أن لو كان هو الصريع على الساحة وقد نفذت الرصاصة في دماغه ، فذاك أهون عليه من سماع عبارات الحمد له وامتداح صداقته وخالص أخوته تجري على لسان هذه المرأة وهي بعد هنيئة قصيرة سيتضح لها حقيقة الواقع وجلية الأمر . وماذا ترتأى فيه وقتئذ ؟ ألم يقف — وهو الصديق وفي حكم الشقيق — ساكنًا جامدًا حين كان المسدس مسدودًا إلى فلاديمير ؟ أليس هذا الشقيق نفسه هو الذي قاس المسافة بين الغريمين ، وهو الذي حشا المسدسين ؟ كل هذا صنعه بنفسه ، وقد صنعه وهو يعي ما يصنع ؛ وهاك الصديق بل الشقيق يجلس الآن صامتًا ولا يتقدم حتى هنا للقيام بواجبه

إنه جزع خائف . يحترق في هذه اللحظة نفسه دون أن يستطيع مغالبتها يقول ولو كلمة واحدة . وإن إحساساً غريباً بالتناقض يخرج صدره ويزهق روحه ، فهو في كرب واختناق . والوقت يمر مرعًا ؛ إنه يعلم بمروره ، وكلما زاد به علما وهت غريبتة ولم يقو على حرمان بيلاجيا بتروفنا مما بقى لها من لحظات سعيدة أخيرة . فإذا هو قاتل لها ؟ وكيف يقدم للخبر ويهيوها لسماعه ؟ لقد حار إيفان جوليا بنكو في أمره وأسقط في يده

لقد انفسح له الوقت هنا ليلعن في سره جميع المبارزات وجميع المشاحنات وكل ضرب من

من القتائل



بقلم الدكتور محمد الرافعي

لأنثريه وارنود

اعلموا واحدة من صواحيه غارت عليه أو نقت منه أو نكنت عهدا ؛ أو لا فمشيق واحدة منهم أراد أن يزججه من طريقه ..

عرفت كل هذه التفاصيل من الخادم وأنا أنناول فطوري ، إذ كنت في فندق المحطة وقد بت فيه متخلعا أنتظر القطار المحلي الذي يبرح في

الصباح قرية بوقلييه

ودخل أحد الشرطة إلى الفندق فجعل يتحرى أسماء المافرين الذين وصلوا بالأمس ؛ ثم تقدم إلى في شأني وشأن أوراق ؛ ثم سألني كيف قضيت الوقت منذ طرأت على هذه الناحية ؛ وبعد أن تثبت من قولي حيائي ومضى لسبيله . فقلت للخادم :

— ما أحسبه يشق عليه

أن يضع يده على القاتل والبلدة من صغرها تكاد تسلمه لمن يبحث عنه . .

قال : لا يكون هذا رأيك يا سيدي ، فالقرية يحرمها غرباء كثيرون . وهب القاتل من أهلها فلا ريب أنه قد تدبر واحتاط وفكر وقدر ، وما يكون مثل هذا المجرم الذي يقتل هذا العملاق

أصبح الناس في قرية بوقلييه الصغيرة وعليهم الضباب ومعه الريح الباردة تسفع الوجوه ، وبين الضباب والريح يطير الخبر الزعج : أن قتل مسيو ثينيه برصاصة وقعت في عنقه !

وعثروا على جثته في أرباض القرية ، بين أسوار الحدائق على مقربة من النهر . وكانت العاصفة

والطر وظلام الليل ستر على القتل والقاتل ، فلم ير أحد ولم يسمع

ومسيو ثينيه هذا عملاق مصبوب الخلق ، مفتول العضل ، غايظ الألواح ، طويل عريض قد باهر الأربعين ، يعيش في سعة من غلة أرضه ويلهو أكثر وقته بالصيد ، وفي سائر الوقت يختلف إلى الأندية والحانات

ويعرفه أهل قريته فاجراً صاحب نساء وغزل ، تحديته وحديثهن على كل شفة ؛ ولم يافه الليل إلا على امرأة يخادنها أو يحفظها ؛ وهن إليه أشد ميلاً ، فله المال وفيه القوة ، وإلى ذلك ظرف وجمال وصباية ورقة حديث

فمن الذي قتل مسيو ثينيه ؟



كبيرة فأوفدته إلى بلدة بكسيول القريبة من هنا في عمل من أعمالها يستغرق سنين عدداً . فلما جاء إلى هذه البلدة أخذ بحال طبيعتها وسحر مناظرها فابتاع منزلاً ريفياً سكن فيه مع زوجته الجميلة ، تحوطهما سعادة الحب ؛ أو لعله كان يتوهم ذلك ..

وتصرمت الشهور وتبعتها السنين وهو ناعم بحياته الجديدة ، مسحور بالجمالين في الطبيعة وفي زوجته « مشلين » . وكان وانقاً من حبها مطمئناً إلى وفائها ، حتى ألقى إليه ذات يوم كتاب غفل من التوقيع ينهيه فيه كاتبه إلى أن يفتح عينه على زوجته ... فسخر من الكاتب وكتابه ، وانطلق إلى داره وما يشك أنه سيطلع امرأته ببث بضحكها وبضحكه

وخطر له وهو يفتح باب الحديقة أن يحكم الدعابة فيجعلها رواية ذات فصائل ؛ فإذا انفجر من الغيظ في الفصل الأول وهو يعتقد الريبة ، انفجر من الضحك في الفصل الثاني وهو بطعن إلى الحب ... فلبس وجه الغيظ والحنق ودخل على زوجته دخول الموتور في عرضه وكرامته رقل لها : أما الآن فقد برح الخفاء وانكشف المستور وتحقق الظن ونطقت الريبة ... تبأ لك من خائنة غادرة تبذل عرضها وتحون زوجها . هلمى فأسألى الله أن يرحمك إن كان يرحم الفاجرة ؛ فاني قاتلك لاحالة

وتابع الرجل حديثه لي فقال :

لم أكن — علم الله — أريد غير المزح والدعابة وما كان يخطر لي قط أن يحدث ما حدث ... فما سمعت المرأة ما سمعت ورأت ما رأت ، حتى انقلبت عيناها وزاغ بصرها وانكفأ لونها وتهارب دماً ، وارتمت واضطربت ومادت ووقمت باكية على قدمي ... :

إلا عارماً شديداً البأس يرهبه الناس فلن يظهر اسمه على لسان أحد . وأى الناس يريد لنفسه القتل ؟ وخرجت أمراً في الجوع المضطربة أذهب هنا وهناك إلى أن يحين الوقت ، ثم توجهت إلى المحطة وجمت أتصفح الوجوه أبحث عن شخص جمعي به القطار أمس وقضينا معاً شطراً من الليل . وكان هو أيضاً قد طرأ على البلدة وتحلف ينتظر القطار المحلي ، فتواعدنا أن نلتقي في المحطة

وكان صاحبي هذا رجلاً قد علاه المشيب فايض شعره الحشن ، وسطع بياضه على وجهه قد لوحته الشمس فاسمر واحمر . وكان قصير القامة صلب العضل ، قويا مجتهداً ، عصبي المزاج يطير من عينيه مثل الشرر إذا حدق إليك ..

ولم يكن حديثنا في القطار إلا تحية وردّها ؛ وقد تخاف مثلي في بوقيائيه ، فما إن وطئت قدماه أرض الرصيف حتى أصرع إلى عربة الأمتعة ومعه الحمالون ينزلون متاعه وأثقاله وهو شئ كثير عجيب مختلف ، يجمع أنواعاً عدة من فرائل شجر الورد إلى صناديق ضخمة تضم ألواح من الرمر المصقول أجيد تحتها في باريس

ودنوت من الرجل ، وكان القطار بهم أن يتحرك ولما يفرغ الحمالون من عملهم ، فألقيت حقيبتي وعملت معهم في إزال ما بقي ، فشكرني ودعاني للامشاء معه

وتلاقينا في مطعم اشتهر بإجادة أطعمته فما يفوت الغريب أن يختلف إليه . وجلسنا لطعامنا وبدأ يحدثني حديثه ، فكانت قصة من أعجب القصص ..

زوج شيمزك هذا وهو في الأربعين من عمره بفتاة تقارب العشرين . وكان مهندساً في شركة

إن قمة فيزون بعيدة لا يمكن بلوغها إلا بالسيارة ؛
فإن كان الخبر صحيحاً فعادة زوجتي كما أرادت
السيارة أن تسألني هل أنا في حاجة إليها ؟
إذن فلا أنتظر

وجلست معها للغداء وكان لم يكن بي شيء ؛
وأشرفنا على الفراغ من الأكل ولم تسألني فهدأت
وكدت أطير فرحاً ، وجملت في نفسي ألين الحيمة
وأهلها ، وأنا في ذلك إذ قالت مشايين في تردد :

— أحتاج الى السيارة اليوم يا عزيزي ؟ فاني
أريدها لنزهة قصيرة في الجبل

وكان كلامها كالصاعقة انقضت على ، فاحتبس
لساني ورأيتني أختنق ؛ غير أنني تماسكت صرة
أخرى لأنتهى الى النهاية . فقلت لها وأنا أنتزع
الكلام انتزاعاً :

— ألا ترين أن الجو اليوم ليس جو النزهة
في الجبل ؟

فمبست وقالت بجفاء :

— ولكنني أريد التنزه اليوم

وكنيت مستطعماً أن أمنعها إذا زعمت لها أني
في حاجة الى السيارة ، أو قلت إنها معطلة ، أو اعتلتت
بعلّة ما . . . ولكن قاي كاد يتمزق بالشك ،
وأردت اليقين واليقين في خروجها ، فتركبتها
لشأنها وقالت خذها فليست في حاجة اليها

وأسرعت الى محل العمل فسألت عن قارنك
فقبل لي إنه قد خرج في سيارة وإن يعود بعد ظهر
اليوم . . . فطار لي ومحقة من مصيبتى ، ولم أملك
الصبر حتى ألتبس سيارة تحماني وتقذف بي على
الطائن والحائنة ، فعمدت الى « موتوسكل » كان

لأحد العمال فطرت به

فلما وافيت الفندق رميته ومضيت حذراً ألوذ
بكل ما يواربني . وكنيت الى تلك اللحظة أراجع

فوقفت مشدوهاً لا أكاد أصدق ما رأيت
لولا أنني أرى . . . ثم أعمانى الحب وأشفت عليها
وظننت ما بها مما يحذنه الرعب ، وقلت : لعلها
حسبتني قد جئنت . . . فضممتها الى صدرى وقبلتها
وجملت أهدي روعها وأعتذر إليها حتى سكن ما بها
ولسا طابت نفسها انفجرت ضاحكا وقات
لها : هذا هو الفصل الثاني من الرواية الهزلية . . .
ثم حدثتها بالخبر وأقرأها الكتاب ، فطوقتني
بذراعها وتعلقت بي وقالت وهي تقباني :

— ما كان أبعدك من الرحمة ! لقد حسبتك
جئنت . . . فلأن أظن بك الجنون أقرب من أن
أظن أنك ترناب في

ومرت الأيام وكنيت أشهد حبها بتضاعف كما
تكفر النائية عن خطيئة تريد أن تمحوها من
ذاكرة محبها . . . وجملت ذلك الكتاب على محمله من
حسن الظن ، فقلت : لعل من ما جن بعيت بي ،
أو عدو بكيد لي ، أو عامل طرده فيريد أن ينتقم
منى بتخريب سعادتي . . . غير أنني لم أطمئن الى ذلك
وساورتني الظنون الأخرى ، ولم أر من الحكمة
أن تعلم زوجتي بما تخالجنى من الشك ؛ فجملت
أنجسس عليها وأستقصى أخبار من تتصل بهم ؛
حتى كان يوم تلقيت فيه رسالة أخرى لا توقع
عليها ، وهذا نصها :

« إن زوجتك على موعد من كبير المهندسين ،
وأنت تعرف أنه السيد « قارنك » ، وستوافيه اليوم
في الساعة الثالثة على قمة فيزون بفندق الخنزير البري
حيث يلتقي العشاق . . . »

فما قرأت هذه الرسالة حتى دارت بي الأرض
وغلى دمي وجن جنوني فهممت أن أذهب الى دار
المهندس فأبطش به . ولكنني تماسكت وجملت أندبر :

قد هلك كل من أرسلتهم الشركة إليها ، فهي تضن
أن تبعث بي إلى الموت
وما عيّلت الشركة أن الموت هو الذي أريد .
فقبلت العمل وسافرت دون أن أرجع إلى بكسيول
لأرى زوجتي ، إذ لم يكن أبغض إليّ من أن أراها
ووهبتها المنزل ونزلات لها عن حصة من مرتبي
مدفعها الشركة إليها ؛ غير أنني أشرت ألا تعلم ولا يعلم
أحد بالسكان الذي سافرت إليه ، وأن يغير لاسي
في دفاتر الشركة حتى لا تعلم ولا يعلم أحد . وتركت
بلادي كأني مودع العالم ، فلا هم لي إلا أن أموت
في أفريقيا فينسائي الجميع ...

ونشبت الحرب غير أني لم أغامر فيها لشدة
احتياجهم إليّ ، فلقد كان الزنوج يهاجمونا كل
يوم ، ولولا مدافعنا الرشاشة لهلكنا جميعا
وجعل الزمن عمر وكأنه لا يمر عليّ ، إذ لم يكن لي
شيء جديد . ولم أعد إلى بلادي وآرت أن أهلك
كما يهلك الانسان في الصحراء . وانقطعت عن
العالم وانقطعت أخبار العالم عني ، فلم أكتب لأحد
ولم يكتب إليّ أحد ؛ واستحجر قلبي من هول
المصائب ، ورأيتني كالوحش الذي لا يفهم الموت
حين تمت إلى الشركة ذات يوم زوجتي الخائنة ...
وكان صباح وكان مساء ، وتقاب الظلام
والنور ، حتى صارت يوماً بمحصن تنزل فيه سرية
من الجند يقودها ضابط عاش في باريس قبل
الحرب ؛ فجلسنا نتحدث ونستمع العالم ، وما كان
أشد دهشتي حين علمت منه أنه كان عاملاً في إدارة
الشركة ... !

وترأى بنا الحديث عن رجل ، رجل من
الرؤساء ، فقال لي :

— هل عرفت قارنك ؟

نفسى وأزعم أن زوجتي قد ذهبت إلى جهة أخرى
وأني لن أجد أحدا ، وسأجلس في الفندق لكأس
أو كأسين ثم أعود إلى داري مطمئناً فاجلس عند قدمي
زوجتي وأعتذر إليها كما اعتذرت في المرة الأولى ...
وما بلغت هذه الخطورة من تفكيري حتى
كنت بمخاء الفندق وكأنه يقول لي أنظر أنظر ...
أبصرت زوجتي ، وقد جلست إلى قارنك
وأمامها الشراب ... فأنقضت عليها كالوت . أما
هي فوعدت مغشياً عليها ، وأما هو فأنهض وقد
اكفهر وجهه وتلعثم لسانه وأخذ يتمتم ، يحاول
أن يتكلم ... فلم أمهله ولم أسمع له ، بل صفعته على
وجهه ثم انطلقت أعدو كالجنون وطرت بالموتوسكل

كان ذلك قبل الحرب العظمى ، وكانت
العادات يومئذ غير العادات ، والشرف غير الشرف ،
فما وصات البسادة حتى التمت زميلين لي فطلبت
إليهما أن يكونا شاهدي في مبارزة قارنك .
وأجمعت على قتله إذ كان حذقي في الضرب بالسيف
لا يقل عن مهارتي في الرمي بالرصاص

ثم أقت في محل عملي وأبيت أن أرى زوجتي
أو ترأى . فكتبت إلى تضرع أن آذن لها فتطالعتني
بالخبر على جليلته فإن الأمر غير ما ظننت ، وإنما هو
شأن آخر سنتبته بالبرهان القاطع ، و ... وهنا
مزقت الرسالة ولم أستوف قراءتها ، وأبيت عليها
ما سألت

ووقعت المبارزة وتضاربنا بالسيف ؛ فما كانت
إلا هزيمة ثم أغمدت سيفي في صدر الخائن فسقط
ميتاً ولم ينطق بكلمة ولا حرف

وعدت ساعتي إلى باريس فكتبت إلى الشركة
ألتبس عملاً آخر . وجاءني الرد أن لا عمل إلا في
ناحية بعيدة من بلاد أفريقيا ... وفي هذه الناحية

ثم اختللت أعصابي وأصبحت خطراً على أتباعي ،
ولست أدري ماذا كان يحدث لو لم ترحني الطبيعة هناك
فتفتربنى بالحى التى أرجعتنى إلى هنا ... ! ولم تقنأنى
الحى فقد كانت لى قوة أقوى منها ، وهى رغبتى
فى التكفير عن الذنب

وبحثت فعلمت أن ثمارك ربيعاً هو ابن أخيه ،
وقد ذلّ بمد غر ، وافتقر بمد غنى ، فنزلت له عن
أكثر ما جمعت من المال

أما زوجتى المسكينة فلم تترك أحداً تربطها
آصرة ، فجعلت همتى أن أعيش ما بقى من العمر فى
ذكرها ، أتعذب بها كما عذبتها ... فاستعفيت
من العمل وجئت أريد بكسيول التى دُفنت فيها ،
ومى ما رأيت من غمراس الورد على أنواعه ، ومن
هذه الأحجار الغالية ، وهى من تحت مثقال عظيم فى
باريس ، وهو آت بنفسه على أثرى ليقم البناء على
القبر ، فيجعله أثراً خالداً مذكوراً من آثار الفن ،
وإلى جانبها سأقضى بقية مدتى ، وإلى جانبها سأدفن

وحان المطم أن يفلق أبوابه ، نخرجنا وكان
المطر ينهمر ، وجعلنا نلتمس الطريق حتى بلغنا
المحطة وبها مقهى بظل مفتوحاً إلى الصباح ، وأبى
صديقى إلا أن يدخل إليه ، فهو على سنه مازال
بظماً إلى الحجر ؛ ولم يكن احتجز لنفسه غرفة بأدى
إليها فى الفندق ، وتركته يتأبل سكرأ وانطلقت
وحدى .

قلت فى أول القصة إني توجهت إلى المحطة
وجعلت أتصفح الوجوه أبحث عن شخص ، فهو
صاحبى شبنك ، وقد التسته فلم أجده ، وانتظرت
فلم يجى ، إلى أن تحرك القطار فوثبت إليه

فحدثت فيه أحسبه بهزأبى ... ولكنى
تذكرت أنى قد غيرت اسمى فن البعيد أن يعرف
من أنا ؛ وكأنما أراد أن يذكرنى ، فقال :

— ألا تذكر ثارك الذى قتله زميل له فى
البارزة ؟

قلت — فما قصة هذه البارزة ؟

قال — لقد ذهب ثارك ضخمة خطأ شنيع .

— أى خطأ ويحك ؟ ألم يكن خليلاً لزوجة قاتله ؟

-- كلا كلا ... لم يكن فى قدرته أن يكونه ...

ولقد اطلّمت على الملف الخاص به عند ما كنت
أعمل فى إدارة الشركة ؛ فهذا البائس أظهر من
الطفل الرضيع إذ خذلت به الطبيعة فلا يصاح
لامرأة ... لا تلك ولا غيرها ولكنى ...

إنى أعرف ما تريد أن تقول ... نعم إن
الرجل فاجأه مع زوجته على حال ظنها مربية ، غير
أهمها لم يكونا فى مجلس غرام ، بل اجتماعاً لشأن
آخر ... فقد كانت هذه الزوجة تضرعت إلى
ثارك وألحت عايبه أن يسمى فى الانعام على
زوجها بنوط الشرف ، وسمى ثارك وكتب إلى
الشركة أيضاً ، وقد رأيت كتابه بمعنى رأسى ،
وكان طلبه قريباً من الاجابة ، وبشروه بذلك ،
وذهبت الزوجة إليه تتلقى البشرى ، ولكن الزوج
الأبله تحرش به ولم يسمع منه ، ثم قتله ولم يسمع من
زوجته ، ثم رحل إلى حيث لا يعلم أحد أين رحل ...

قال محدثى :

هذا ما قصه الضابط ... وكدت والله أموت
حسرة ونداما ، وكدت أجن من هول ما صنعت ،
وتمزق قلبى أشد وأوجع مما قاسيت من قبل ، فلم
أطق العيش وحاولت الانتحار فحبل يدي ويدينه ،

وبلغنا بكسيول وفيها ينزلون ما جاء به صدقي
عن غراس الورد وأحجار القبر ، وأنزلها القطار
ومضى بي

وقضيت عملي ورجعت بعد أيام ، فاضطرت
إلى التخلف مرة أخرى في بوغلييه ، فنزلت حيث
كنت نازلاً وسأت الخادم :
— هل عثروا على القاتل ؟

فقال : إنهم قبضوا على فتاة ولكنهم لم يقبضوا
على دليل يثبت جنايتها . وأن هذه الفتاة أقرت
أن القاتل رجل غريب كان معها هو والقتيل ،
ووصفته بأوصافه ، فبحثت الشرطة في جميع الفنادق
وانصلوا بكل من نزلوا بها تلك الليلة فلم يهتدوا
إليه ولا إلى من يعرفه . ولعله لم يقض ليائه في
الفندق . . . ولكن ما الذي يدعو هذا الغريب
لقتل ثينيه ؟ لا أظنها إلا حيلة تريد الفتاة أن تتخذ
بها الشرطة . . . وأى ذلك كان فأمامك الجريدة
الحالية وقد اقتضت الخبر من أوله إلى آخره

وتناولات الجريدة وقرأت ما شهدت به الفتاة
فاذا هي تقول إنها كانت صدرا من الليل مع ثينيه
تماقره الخمر حتى ثملا . فلما انتصف الليل وأغلقت
الحانة ذهبا إلى مقهى المحطة ؛ ودخل إلى المسكن
رجل علاه المشيب ، أسمر الوجه مشرب بمخمرة ،
قوى الجسم ، قصير القامة ؛ وكان يترشح من شدة
السكر . فتجاذب هو وثنينه الحديث وخاضا
فيه ، وزعم أنه قادم من باريس ووجهته إلى بكسيول
وأخذ ثينيه كمادته يُشَقِّق الحديث بأخبار
النساء من حظايا وعشيقاته ، وقال إن اسم بكسيول
يذكره بأبام الطالب إذ كان في السابعة عشرة من
عمره ، وكان يومئذ قد اتخذ أول خليلاته وهي
زوجة مهندس تدعى مشاين . . . وازدهى بأنهما

كانت تهيم به هيام الجنون فتأتى في سيارتها الصغيرة
بين الوقت والوقت للخلوة به في فندق من الفنادق
ثم تدفع للفندق ما كان يجب أن يدفعه هو . . .

وجعل ثينيه يلعن زوج هذه المرأة فقد كان
أبله مغفلا ؛ إنهم رئيسه بزوجه فدعا المبارزة
وقتل ثم نأى فلا يعلم أحد أين هو . وقد ترك لزوجته
منزلاً وحصة كبيرة من مرتبه ، فكان ثينيه هو
الذى يستمتع بالمال والدار والزوجة ، ساخرا هو
وعشيقة من المغفل . . . إلى أن هلكت المرأة

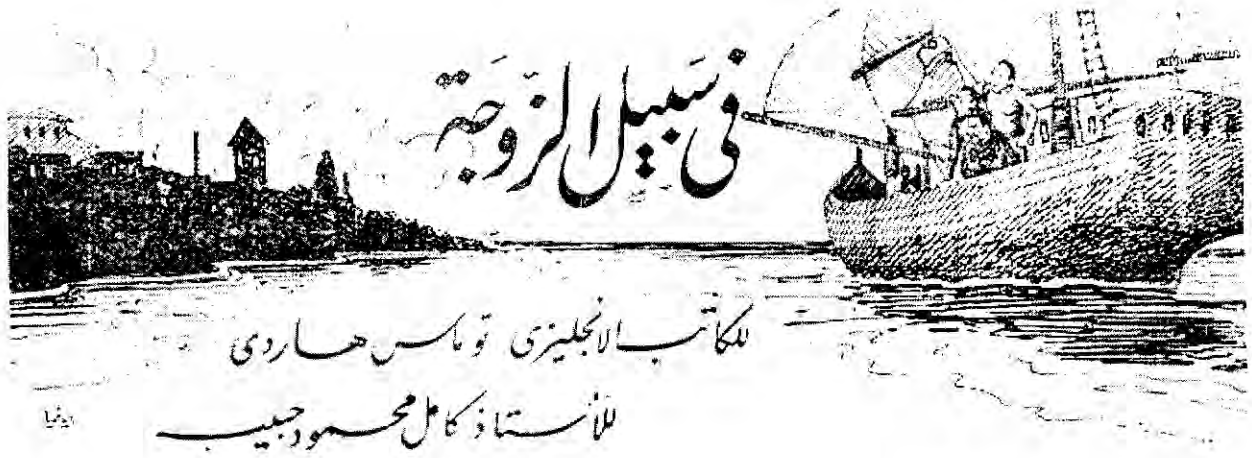
وهذا سكت ثينيه عن الكلام وكان السكر
قد نال منه ، فغمغم الرجل الشيخ بكلمات لم تفقهها
الفتاة ؛ بيد أنها رأت وجهه كوجه النمر من الخلق
والغيظ

وبعد ذلك أخذ ثينيه يغنى ويعربد فأخرجهم
صاحب المقهى . وسأل الشيخ صديقه أن يصحبه
في نزاهة ، وأبت الفتاة وألحت على ثينيه أن يعود إلى
منه ، فأغضبه الحاحها فلطمها لطمه ألقها إلى
الأرض . وما كادت تنهض حتى أبصرتها بيتهم إلى
إلى ناحية النهر . . .

فالتفت الصحيفة من يدي وقد عرفت من
القاتل . . . وتحزنت على صدقي التمس صاحب
غراس الورد وأحجار المرمز المصقول . . . فلا بد
أن يكون قد أزهق نفسه وانتهى القاتل والقتيل . . .
وقبل أن أغادر قرية بوغلييه تحدثت إلى محطة
بكسيول فعلمت أنه لم يأت إليهم أحد يسأل عن
المرمر وغراس الورد ، وقد ذوى الغراس فانقلب
حطبا . . .

وأنت يا فبر زوجة شبنالك . . . ؟ ؟

محمد الراجحي



- ١ -

يردها بعمه كلمة كلمة ، وقد ركع وضم يديه إلى صدره في خضوع ، والجمع من حوله خشع ينظرون .

وحين تمت الصلاة انصرف الناس وقد عرفوا في الشاب البحار شادراك جوليف الذي رحل عن وطنه الأول هافنبول ... رحل عنه إلى نيوفوند لاند ، حين مات أبواه .

وانطلق البحار يحدث هذا وذاك ، ويقص عليهم قصة حياته منذ ركب البحر ...

وعلى قيد خطوات منه فتاتان : أما إحداها فضئيلة ضامرة رقيقة ، وأما الثانية فطويلة فارعة ؛ جذبه إليهما بمض ما بدا عليهما من رقة وخفة ونشاط ، فقال لمحدثه : « من الفتاتان ؟ » قال له صاحبه : « أما القصيرة فهي إميلي هاننج ، وأما الطويلة فهي جُورْأنا فليبارد » ، قال : « نعم لقد ذكرتهما ... » ثم أمرع ؛ وحين حاذها قل : « إميلي ، ألا تذكرين ... ؟ » قالت الفتاة : « هذا ما أظنه يا ماستر جوليف ! » وحدثت فيه الثانية ، فقال : « لا أستطيع أن أذكر الآنسة جورانا غير أنني أعرف عنها الكثير »

وساروا جميعاً والبحار يحدثهم ما حدثت ماضيه ، وهما تنصتان في شغف ولذة ، وبلغوا - بعد حين - دار إميلي ، فتركتهما هذه ليسيرا جنباً

في أمسية يوم من أيام الآحاد ، وقد ابتدأ الظلام ينشر سحوفه على مدينة هافنبول ، كان فناء كنيسة سان جيمس يتلألأ ، وتسطع فيه أضواء الشموع ؛ والقس في محرابه يحذر الناس ويمظهم ... ثم وقف - وقد انتهت الصلاة - في خشوع وذلة ، وراح الجمع ينسلون رويداً رويداً .

كان المكان هادئاً صامتاً لا يرتفع فيه إلا هدير الأمواج الصاخبة تصفع الشاطئ في شدة حيناً وفي لين ، وإلا صوت أقدام رجل ينطلق إلى باب الكنيسة يريد أن يفتحه لينصرف المصلون ؛ وحين شاف الرجل على الباب ارتفع الزلاجات من الخارج وداف رجل في لباس البحار ... ثم انطلق على مهل حتى وقف بأزاء المحراب ، والقس يحذجه بنظرات فيها الغضب والحنق على فضوله ؛ غير أن البحار قال في هدوء : « لا تؤاخذني بما فمات ياسيدي ، فلقد جئت لأحمد الله على أن أنقذني من الفرق حين تحطم مركبي ؛ هذا واجب أريد أن أؤديه إن وجدتك ملك الرضا » ، وصمت الراهب حيناً ثم قال : « لا مانع ؛ وكان يجدر بك أن تجيء في بدء الصلاة ، والآن سنصلي معاً صلاة النجاة من الفرق » ، وانطلق القس يتلو الصلاة والبحار

واختلجت هذه الأفكار في رأسها فكتبت الى صاحبها تقطع ما اتصل بينهما ، وانطلقت الى صاحبها تريد أن ترى أثر الخبر في نفسها ، وفي يدها كتبها الى شادراك لتقرأه على صديقتها قبل أن ترسله .

دخلت جوانا فلم تجد إميلي في الدكان فجاست تنتظر ... ونظرت فإذا شاب يحديق في بعض السكتب من خلال الزجاج ... إنه هو ، هو شادراك جاء ليجلس الى إميلي ، وهو الآن يجيل بصره فيما حوله على يجدها وحدها ؛ وأنفت جوانا من أن تجلس الى صاحبها تحت سمع إميلي وبصرها فانفلتت تنواري خاف سجع لئري وتسمع ، وانستطيع أن تنسل من الباب الخلفي متى أرادت ... وبدا لمينها ما ارتسم على وجه شادراك من سمات الألم والحزن حين دخل فلم يجد إميلي ؛ وهم أن يخرج غير أن شبس إميلي كان قد بدله فترث . وحين رآته هي فزعت كأنها تريد أن تنكص على عقبها ، فقال شادراك : « لا ... لا ترجي ، ما الذي يفزعك يا إميلي ؟ » قالت : « لا شيء يا ربان جوليف ، لا شيء سوى أنك فجأتني فاضطربت » وكان صوتها يضطرب كأنه يحدث عن بعض ما في قلبها من بأس وألم . ورأى الشاب ذلك فقال وهو يهيم : « لقد عرجت عليك في طريق ... » قالت وهي تقفز ليكون الضد بينهما « لعلك تريد بعض الورق ! » قال : « لا ، لا ، يا إميلي ؛ لماذا تقفزين هناك ؟ لماذا تبتعدين عني ؟ أفأصبحت تبغضيني ؟ قالت وما يزال الاضطراب في ألفاظها : « لا ، أنا لا أكرهك ، وكيف أفعل ؟ » قال : « تعالى إذن هنا نتحدث كصديقين » ... وجلست إليه وعلى فمها ابتسامة رقيقة ، وانطلق هو يتحدثها : « ها أنت ذى يا عزيزتى ... » فقاطعتها : « لا تقل هذا ، أيها الربان ؛ إن هذه كلمات يجب

الى جنب حتى دار جوانا ... وحين رأى شادراك نفسه وحيداً ارتد الى دار إميلي ... إنها تمش مع أيها ، وهي تدبر دكاناً صغيراً للسكتب ، تسد بما تربحه منه ثغرة لا يسدها راتب أيها الضئيل ... وداف الى الدار ليجد الأب وابنته يشربان الشاي ، فتناول قدحاً آخر ؛ وأخذ يحديثهما حديث البحر ومفاجأته ، والفتاة تحس أن هذا الشاب يجذبها إليه رويداً رويداً ؛ ومضى أسبوع توثقت فيه بينهما عرى الصداقة

وتلأ القمر — ذات ليلة — ليمعث في نفس البحار الشاب النشوة والطرب ؛ فانطلق يستمتع بالهدوء والبحر والقمر ، ويستروح سمات الحياة الناعمة ... ورأى فتاة تسير على بعد ظنها إميلي فانطلق في إثرها ، وحين صار بحذائها وجدها جوانا فحياها وسار الى جانبها ، وهي تدفعه عنها برفق خشية غضب إميلي ، غير أنه أصم أذنيه عن كلماتها وراح يتحدثها ...

ماذا قال لها وماذا قالت ؟ ماذا كان منها وماذا كان منه ؟ لم يسبح شادراك بشيء من ذلك ، ولكنه أصبح يهفو نحوها ويهمل إميلي قليلاً قليلاً . وطارت إشاعة بمحمل في ثناياها عزم البحار الشاب على الزواج من جوانا دون إميلي . ودوت الاشاعة لتبعث في نفس الأولى الأمل الحلو ، وفي قلب الثانية اليأس والحيرة ... وبدا لجوانا أن تنطلق الى صاحبها تكذب الخبر وتقول لها إنها ستدفع الشاب عنها في رفق ولين ...

لم يكن شادراك هو كل أمل جوانا ، فهي لا تستشعر حبه في قلبها ، وهي لا ترى فيه رجلها لأنه فقير ، ثم هي جذابة جميلة ناعمة ، تأسر القلوب وتسيطر على الأفئدة ؛ غير أنها أعجبت بلباقة البحار وظرفه ، وكانت ولوعاً بالزواج ...

لا تستطيع أن تجلس إليك . ولقد أحسست هي في خطابك صفة قوية قاسية هذمت كيائها » وأفاضت الأم فيما قالت ، وكان البحار الشاب رقيق القلب ، سليم الطوية ، فصدق حديث الأم المفتري ، وألقى بين يديها قياده وهو يقول : « وبلى ! لقد قسوت حقاً ؛ والآن فلها هي الخيار »

وفي الصباح التالي جاءه خطاب من جوانا تطلب إليه أن يوافيها الى اللذني ... وقالت له وهما يسيران ذراعاً في ذراع : « الآن رجعت المياه إلى مجاريها ، وكان خطابك غلطة من غلطات الشباب أليس كذلك ؟ » قال وهو يبسم : « بلى !... » وتصمرت أيام ... طلعا بعدها على العالم عروسين ...

— ٢ —

وكرهت الزوجة أن ترى زوجها يركب البحر فيخلفها نصف زوجة ، ويتركها وحيدة وقد ماتت أمها ، ثم هي لا تأمن غدر الأمواج ، فراحت تحبب اليه البقاء الى جانبها ليقوما معاً بعمل فيه الأمن والرخ

واطمان الزوج لحديث زوجته ، فأنشأ دكاناً للبدالة ، وبذل قصارى جهده ليفوز من دكانه بمنهم ؛ غير أن جهله بفنون التجارة كان عقبة كأداء . ودار الفلك دورات ، وهو هو ، حيث كان منذ سنوات ، لم يفد شيئاً سوى ولدين أشرفا في دجى حياته ، وأحبتهما الأم حباً أنساها ما كانت تحبوه به زوجها من الحب ، وشب الطفلان على شاطئ البحر فيهما الفراهة والقوة والنشاط ، لكنها لا تستطيع أن تنسهما كصور لها خيالها ، وبدت لها الحقيقة صرة لذاعة

أن تكون لشخص واحد ليس غير » . قال : « لقد أدركت ما تعنين ؛ وإني أقسم أنه ما جال في خاطري يوماً أنك تفكرين في . أنا أشعر بميل إلى جوانا ، وأعلم أنها لا تحمل لي في قلبها شيئاً من الحب ، وما كان بيننا سوى الصداقة ؛ وأنت تعلمين أن البحار حين يهبط أرضاً يكون أعمى كالخفاش ، فهو يريد امرأة تسلس له ولنقاد ثم لا يعنيه ما وراء ذلك . ولقد أحبتك وسكنت إليك — بادىء الأمر — ولكنك انزويت عني فأحسست كأنك تدفعينني عن نفسك في رفق ، فانطلقت إلى جوانا ... » قالت وهي ترتجف : « كفى ، كفى ؛ فأنت ستزوج من جوانا في الشهر القادم ، وإنه من العار ... » قال وقد أمسك بذراعها يضمها إليه : « إمبلى ... عزيزتي إمبلى ... إنه هو أنت ... أنت وحدك التي أحب ، وأنت التي سأزوجها . إن أمل جوانا أن تتزوج من رجل غيري غنى . إنها لا تصلح لي ... » ، وكانت جوانا من خلف الستر تحتاج وتضطرب وقد فجأها حديث شادراك فأزعجها وآلمها ، فانطلقت وفي قلبها الحقد والكراهية لصاحبها إمبلى ... انطلقت إلى دارها تمزق الخطاب الذي كتبته إليه وفي رأسها خاطرة تضطرم : لقد عزمتم على ألا تدع البحار الشاب يفلت فيكون هو سعادة إمبلى وشقاءها في وقت مما ...

وطربت إمبلى لحديث الشاب فقامت تودعه وفي عينيها هبرات الشكر والمرور

وسيطرت الفكرة على شادراك فكتب إلى جوانا يكشف لها عن بعض ما ظنه قد خفي عليها ، وطلب إليها أن تكتب له ، ثم انتظر ... انتظر طويلاً فلم يظفر منها بكلمة ، وأمضه الانتظار ، فانطلق إليها ... وقالت له أمها : « إنها مريضة

السعادة لابنيك ! » قال : « لقد كنت أستطيع لو أنني انطلقت إلى عملي .. عملي الذي أجيده ... إلى البحر ... »

وتحركت أطباع الزوجة في صدرها فقالت : « أفترى النجاح هناك ؟ » قال : « نعم » قالت : « أفترى أن تذهب ؟ » قال : « ما أريده للذة في نفسي فأنا أجد اللذة هنا إلى جانبك وإلى جانب أولادي غير أنك تريدني الثراء ، وهذا طريقه . » قالت : « ومتى تمود ؟ » قال : « من يدري ؟ » وفي الصباح لبس شادراك ملابس البحار وانطلق إلى البحر ... إلى نيو فوندلاند ...

وترعرع الطفلان ، وانطلقا إلى الميناء بعملاق بأجر زهيد ، وأمهما جالسة إلى نفسها تحدثها : « لاضير ، فهما يكسبان ما نسده عوزنا ، سيكونان في السابعة عشرة والثامنة عشرة حين يرجع أبوهما يحمل إليهما المال ، وبه يبلغان ما بلغ أبناء إمبلي من الرفاهية والعلم ... »

وانقضت الأيام ، وحانت عودة شادراك وليسكه لم يأت ... غير أن ذلك لم يزعج الزوجة ولم يفاقها فهي تعلم أن المركب شرعى وأنه لا ضير إن لم يصل في ميعاده ... وانطوت أيام ...

وعاد الرجل وعلى وجهه سبات الفرح باللقيا بعد الفراق الطويل ، وعلامات الفوز بما يرضى به زوجته . وراح يضم زوجته في شغف وحب وهو يقول : « لقد أفدت كثيرا يا جوانا » ثم أفرغ في حجرها كيسا كبيرا قد ملأ ذهباً . وبدأت الدهشة على وجه الزوجة — بادىء ذي بدء — ثم انمحّت قليلاً قليلاً ، ليحل محالها الجشع الذي في صدرها فقالت : « أهذا كل ما أفدت ؟ » واستشعر الرجل الحيرة فقال : « ماذا ، ماذا يا عزيزتي ؟ إنه

وكانت إمبلي قد تزوجت من تاجر غنى ، راح يتودد إليها حتى رضىته زوجاً ، وتفتحت زهرة هذا الزواج عن طفلين مسحا عن قلبها ما كان من حب لشادراك ومن كراهية لجوانا ، واستقرت إمبلي في دار زوجها الفسيحة الجميلة ، وهذه الدار بجاء دكان شادراك !

اشد ما ألم جوانا أن ترى المرأة التي غلبتها على أمرها حيناً من الدهر في قصرها المشيد ، ترفل في حريرها وسندسها بين أطفال كالآقمار ، وأن تراها تطل من نافذتها بين الحين والحين كأنها تستمتع بما ترى في دكانها من معاني الضمة والفقر ! ولشد ما حزن في قلبها أن تستشعر الحيرة بعد أن أحرزت النصر ؟ وأن ترى حياتها تتفتح عن قاعة وعوز ! أفكان هذا هو كل ما أفادت جوانا حين ظفرت بفتاها شادراك ؟

وجلست جوانا إلى زوجها تحدثه وقد خلا المكان إلا منهما ، وبصرها معاق بمرية أحد الأغنياء الكثيرين الذين يزورون إمبلي بين الفينة والفينة ؛ تحدثه تقول : « ما كان لرجل أن يبرز في عمل لا يجيده ولا يتقنه ، وأنت لا تحسن فنك من فنون التجارة » قال الزوج : « إن الثراء لا يعناني كثيراً ، وحسبي أن أعيش إلى جانبك سعيداً .. » قالت : « أفلا ترى ما بلغت إمبلي من الثراء والدعة ؟ إن ابنيها يتعلمان في الكلية ، أما ابنك فلا يستطيعان ... » واستيقظ الهوى في قلب البحار حين ذكرت إمبلي فقال : « إنه أنت أنت التي رفعت إمبلي إلى ما ترين حين جذبتني إليك ، فارتدت هي في يأسها تجيب التاجر إلى ما طلب . » وثار الحقد والغضب في صدر الزوجة فقالت في غيظ وحدة : « دع الماضي ، وانظر كيف تجد

لثراء... ! » قالت وكأنها تؤنبه : « هذا ثراء لمن يعيش في البحر ؛ أما هنا ... »

وأمسكا عن الحديث حين دخل الولدان ... وفي يوم الأحد التالي انطلق شادراك الى الكنيسة ليؤدي صلاة النجاة

وبدا للرجل أن زوجته لا تفنع ، فراح يتحدثها ليستشف من حديثها بعض ما يكنه قلبها ، فقالت وهي تشير الى دار إميلي « إنهم يملكون الآلاف وما عندنا سوى بضع مئات ؛ لقد اشترىوا عربات وحصانين . ما زانا فقراء يا شادراك ... »

وقضى الزوج عاما لا يرى زوجته إلا حزينة كئيبة ، فأمضته ذلك وآلمه وعزيم على أن يغامر في البحر مرة ثانية مع ولديه . وانطلق الى زوجته يكشف عن عزيمته فاضطربت وفزعت ، وقالت : « لا ، لا ، لا ، يا شادراك . لا أستطيع ذلك ، ولا أريد أن أقذفهما في يد الأمواج ... » قال الزوج « وأما لا أستطيع السفر بدونهما »

وباتت المرأة ليالها تقالب الفكرة في رأسها ، وعلى خطوات منها إميلي تستمر الحقد والغليظ في قلبها فلا تستطيع صبرا على ما هي فيه من فاقة وفقر ؛ غير أنها لا تقوى على أن تعيش وحيدة ، ولكن .. ولكن أحلامها في الغنى والسعادة ... وصبحت زوجها تقول له : « أنستفيد كثيرا لو أنهما ذهبا برفقتك ؟ » قال : « أضمافا مضاعفة ، فهما خير لي من رجال كثير ، وأما الملح فهما الذكاء والفطنة والجلد والجد » قالت : « وهل في ركوب البحر من خطر ؟ » قال : « نعم »

وصرت أيام وأيام ، والأم لا تستطيع أن تقر على رأي ... ثم وافقت ...

- ٣ -

وُخِيل للرجل أن موقف الوداع بمصنف

بقلب الأم ويبذر في الصبيين غراس التخاذل والضعف ، فانسَل برفقة ولديه في الصباح الباكر ونسبات الربيع تمر هيئته ندية . وأحسست الأم ، بعد حين . فاندفعت على آثارهم لترى ما سطره الرجل على الجدار ، ينبتها بفهم خاصة لئلا تحزنها ساعة الفراق وتؤلها ، لترى كل ولد وقد ترك أثرا تحت أثر أبيه يقول : « وداعا يا أماء ! » وانطلقت الأم لتدرك السفير ، غير أن سفينتهم « جوانا » كانت هناك عند الأفق تمخر العباب ... وتفجرت العبرات من محجريها . وقد تصدع قلبها - تمسح المرور والهجة عن أياها . وارتدت ... ارتدت لترى مناهما الأعلى في المرأة التي دفعت زوجها وابنيها الى اليم ... إميلي ...

وانقضت أشهر الصيف الأولى ، وجوانا لا تبرح دكانها وما فيه إلا الرفوف ، وإلا النضد ، وإلا بقية من البضاعة ؛ وجاءت أهام الشتاء تريد أن تمحو ما سطرت أيدي زوجها وولديها ؛ وشق على الزوجة أن ترى هذا الأثر الغالي يمحي ، وهي ترى من خلاله بسمات سيدها وولديها ، فغطته بألواح من الخشب ...

ورأت إميلي ما يضطرب في خيال صديقتها جوانا فانطلقت ترفه عنها وتشترى منها بعض أشياء هي في غنى عنها وعن بعض ما فيها من قذارة ورداءة ؛ وجوانا لا تطمئن إليها ولا تهدأ لأنها ترى في ذلك معنى الثمالة والتشفي ؛ وتأثرت الحقد في صدرها حين رأت ابني إميلي وقد عادا ليقتضيا أيام عيد الميلاد بين أبيهما وأمهما ، يبدو عليهما أثر النعمة والعلم معا ...

ومضى عام ... وابتدأ القلق يستولى عليها ... وجلست إميلي إليها تحدثها فقالت لها جوانا : « أنت تسيرين في طريق النجاح دائما ، أما أنا

من امرأة مثلي تهديها الأيام؟» قالت إمبلي في رقة: «أطلب إليك أن تعيشي معي ... معي في منزلي فأخرجك عن خلوتك ووحدةك وكأنك» قالت: «لا، لا. سأظل هنا! إنك تريد أن تنتقمي ... تنتقمين مني لأنني حلت بينك وبين شادراك؟ إنك تريد أن حبسي في دارك لتبذري في نفوسهم اليأس حين يعودون فلا يجدوني»

وأمسكت إمبلي عن الإجابة لأنها تعلم — كما يعلم من في هافنبول — أن شادراك وولديه قد ابتلعهم الأمواج منذ حين ...

ومرت الأيام ... وعجزت جوانا عن أن تدفع أجر الدكان والمنزل حين نصب ممينها؟ فهي قد عافت العمل منذ زمان، وزوجها قد أخذ كل ما أفاد ليثمره ويكثره، وتضائل الأمل في عينها رويداً رويداً، فأجابت إمبلي إلى ماطلبت ... وامتدت يد الأيام إلى المرأة تحمل إليها المشيب الباكر، وترسم على وجهها غصون الأسى والألم، وتحنى ظهرها، غير أن الأمل ...

واستوت على المرأة نزعاً جنون تفرعها عن مرقدتها بين الفينة والفينة لتنظر خلال النافذة عليها تجد أحباءها

وهبت ريح الشتاء الباردة تصفر صفيراً مزعجاً، والظلام الحالك ينشر ذوائبه على المدينة، والمرأة جالسة في حجرتها ترهف السمع ... ترهف السمع بعد ست سنوات خلون منذ أن أفلح المركب «جوانا» ... وخيل إليها أنها تسمع صوت شادراك وولديه، فاندفعت تدق باب الدكان دقاً عنيفاً ... وأطل شاب من النافذة ليقول لها: «ياسيدي، إن أحداً لم يأت!»

لمحمد محيب

فأهبط في منحدر الاخفاق دائماً» قالت إمبلي «لماذا، لماذا؟ سيرجمعون جميعاً وفي أيديهم الثروة والمال ...» قالت «أفیر جمعون؟ أفیر جمعون حقاً؟ إن الشك قد هبمن عليّ. إن مركباً واحداً قد أقامهم جميعاً، والأشهر تمضي وأنا لا أعرف ما يصنعون! لا شيء ينزع عني الهم سوى عودتهم» قالت إمبلي: «أنت مخطئة يا جوانا، لماذا دفعت بهم إلى البحر؟» فالتفتت جوانا مهتاجة تقول: «نعم، إنه أنا التي فعلت، وأنه أنت التي أغريبتني بذلك؟ فما كنت لأستطيع أن أراك غنية ترقلين في حلاك وحلاك ونحن نتخبط في شدائد الفقر والحاجة. هذا ما في قلبي، ولا يميني بعدها أن تذكرهني» قالت إمبلي في هدوء: «لا يا جوانا، أنا لن أبغضك أبداً»

وكانت إمبلي صادقة فيما قالت ...

ودار الفلك دورته يذيق المرأة وبال أمرها، لتكفر عن سيئات اقترفتها حين طاعت أطعائها، واليأس يتدفق في قلبها ينزع عنها الصبر والایمان وذكرت أمنية زوجها حين قال: «... وحين نمود غامين سالمين نذهب إلى الكنيسة لنؤدى صلاة الحمد كما فعلت أول مرة ...» فكانت تذهب هي صباح مساء لتركع هناك حيث ركع زوجها منذ سنوات وسنوات وهي تضرع إلى الله ...

وطال بها الانتظار، وهي لا تجد من يقص عليها قصة زوجها وابنها، فتوزعها الهموم والأحزان، وارتاحت لوحدها وخلوتها وإمبلي من ورائها تدفع عنها الخواطر السود؛ غير أن جوانا قالت لها في غضب وحسرة: «أنا أكرهك! أنا لا أستطيع أن أراك!» قالت إمبلي: «لماذا؟ فأنا أريد لك السلوة والاطمئنان!» قالت: «أنت سيدة غنية تنعمين بالمال والزوج والبنين، فإذا تبتغين



يَوْمِيَّانَا فِي الْأَيَّامِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

١٦ أكتوبر . . .

لم نستطع أن نعرف شيئاً من الشيخ عصفور ، ولم نستطع كذلك أن نقبض عليه ، فهو لم يرتكب أمراً يقع تحت نصوص القانون فأطلقناه ، وخطر ببالنا أن ندفع في أثره أحد الخبيرين عسى أن نستكشف غيباً الفتاة . . . ولكن أين هو الخبير السري الذي يخفي على الشيخ عصفور ؟ إنه يعرف كل رجال الحفظ معرفة أكيدة ، وهو الذي قام معهم في الوقائع مئات المرات وسهر معهم وأكل وشرب وغنى وأنشد ، ودلهم على مخايب الأسلحة ، وافتنى معهم آثار المجرمين . إنه يكاد يحسب من أسرة « البوليس » . تركناه ينصرف في سلام . وقد اكتفى الأمور الحائق بأن شيعه إلى الباب بصفحة على قفاه شق بها غليله ، وانصرف بعد ذلك كل منا إلى شأنه : الأمور إلى نأديه ، وأنا إلى منزلي حيث خلعت ملابسي وخلوت إلى نفسي ، وأخرجت كراسة يومياتي ألقى فيها هذا الكلام الذي لا أجد من أفضى به إليه في هذا الريف . إن القلم لنعمة لأمثالنا ممن كتبت عليهم الوحدة ، ولكن القلم كالجواد بنطلق أحياناً من تلقاء نفسه

كالطائر المرح ، وأحياناً يحزن ويثب على قدميه ويأبى أن يتقدم كأن في طريقه أفنى رافعة الرأس . وهو الساعة مهتز في يدي ويرقص ولا يطمئن كأن شيئاً يخيفه أو يقصيه عن مروج الأحلام . فنظرت إلى خزانة ملابسي الخشبية فإذا فأر أسود على رأسها واقفاً يقرض الخشب بأسنانه ؛ فجعات أنظار إليه عليه يذهب ، فلم يذهب ؛ ومضت ساعة وهو في مكانه وأنا في مكاني ، كلانا له عمل من غير شك ، وهو فيما يبدو لي لا يحفل بوجودي ، ولكني أنا أحفل بوجوده . فزيارته في هذه الساعة شغلتني عن نفسي . وأخذت ألاحظه وهو يمسح رأسه وفه بيديه الصغيرتين . وجعات أفكر في هذا المخلوق الذي لا يفكر في ، وهنا كل الفرق بيني وبينه ؛ وتركت هذا النجار الصغير ذا النشار الدقيق ، وحملت كتابي إلى سريري وسدلت « الناموسية » عليّ وأحكمت ربط أطرافها حتى آمن فضول هذا الزائر إذا حدثته نفسه بمداعبة قديم العارية . ولم

أجد فائدة من « المصيد » فإنها تكلفني عناء في إعدادها وترقب نتيجتها . وليس أشق على النفس ولا أدعى إلى إضاعة الوقت من انتظار النتيجة . إذا كانت الفريسة حاضرة تهاورنا وتداورنا ولا تقع حتى تقع معها نفوسنا . وفوق ذلك فلنكم قنصنا من الفيران ، ومع ذلك لم تنقطع زيارتها ، فلنتركها إذن تجي وتروح ؛ ولنجملها هذا الجليل ؛ ولنحرص نحن على أنفسنا وحوالجننا . وأنا والله الحمد ليس لي حوائج يخشى عليها غير هذا الأثاث الرخيص من الخشب الأبيض قد حطمته كثرة التنقلات من بلد إلى بلد . فماذا بضيره أن تعيث به أسنان صغيرة ؟ ونمت في تلك الليلة بعد العشاء بقاليل ، فإن في اليوم التالي جلسة القاضي السريع ، وقد كلفت مساعدي بحضورها على أن أحضرها معه إلى جواره كي أمرنه على نظام الجلسات وما يتبع فيها من إجراءات . وجاء الصباح وذهبت إلى المحكمة فوجدت مساعدي في غرفة المداولة متأبطاً مظروفاً به وسامه وهو في انتظار القاضي . ولم يلبث القاضي أن جاء في القطار القادم من القاهرة وخلفه شعبان الحاجب ، وهما يشندان في الخطى والقاضي يخرج من جيبيه نقوداً يناولها للحاجب ويقول له :

— اللحم يكون فلاحى من قشرة بيت اللوح !
واصبح للبيض يا شعبان افندى ؛ والزبدة والجبنه على عهدتك . أوضع الحاجة في السلالى « كويس » وانتظرنى بها على المحطة فى قطر ١١ كالمعتاد . اطلع انت السوق والأفندى المحضر يقوم بذلك بالعمل !
وانصرف الحاجب سريعاً ، ودخل علينا القاضي وسلم فى مجلة قائلاً :
— أظن ندخل الجلسة .

وصفق بيديه :

— يا افندى يا محضر ! حضر الجلسة ... الجلسة .

وألقى بمطغه النيل الأبيض السفرى على كرسى ، وأخرج وسامه الأحمر من محفظته وابسه فى الحال . وأقبل الفراش بالقهوة فشربها القاضى وهو واقف فى جرعتين وهجم على قاعة الجلسة ، ونحن فى أعقابها ، وصاح المحضر :
— محكمة !!

ونظر القاضى فى « الرول » وقال :

— قضايا المخالفات . محمد عبد الرحيم الدنف ، لم ينق دودة القطن . . غيايى خمسون قرشاً . نهاي السيد عنييه . . . لم يقدم ابنه للتطعيم . . غيايى خمسون ... محمود محمد قنديل ، أحرز بندقية بدون رخصة . . غيايى خمسون والمصادرة . غيايى خمسون ... غيايى خمسون ...

وانطلق القاضي فى الأحكام كالسهم لا يوقفه شيء ، والمحضر ينادى مرة واحدة حتى يلاحق القاضي ؛ فمن لم يسمع النداء عد غائباً وحكم عليه غيايياً . ومن سمع بالمصادفة فحضر بجرى ابتدره القاضي :

— أنت يا رجل تركت غنمك ترعى فى زراعة جارك ؟

— أصل الحكاية يا سمادة البك ...

— ما عندناش وقت لسماع حكايات ...
حضورى خمسون . غيره . عبد الرحمن ابراهيم أبو أحمد . الخ الخ ...

وانتهت المخالفات فى مثل لمح البصر ، وجاء دور قضايا الجنح وفيها سماع شهود ومرافعة محامين

بالحكم دون أن ينظر الى المتهم أو ينتظر بقية دفاعه

— شهر مع الشغل . غيره ...

— يا سماعة القاضي أنا عندي شهاد .

لا ضربت ولا بطحت . الحكم ظلم . ظلم يا ناس

— إخرس ! اسجبه يا عسكري !

فسجبه العسكري بعيدا . ونوديت القضية

التالية . فحضر رجل هرم مقوس الظهر أبيض

اللحية يدب على عصا فابتدره القاضي :

— بددت القمح المحجوز عليه ؟

— القمح قمحي يا سماعة القاضي وأكائه أما

والعيال

— معترف . حضوري ، حبس شهر مع الشغل

— شهر ! يا مسلمين ! القمح قمحي . زراعتي ..

مالي ...

فسجبه العسكري . وهو ينظر بعينين زائفتين

الى الحاضرين كأنما هو لا يصدق أن الحكم الذي

سمع حقيق . إن أذنه لاشك قد خائنه ، وإن اليقين

عند الناس الحاضرين . فهو لم يسرق قمح أحد ،

لقد جاءه المحضر حقيقة فحجز قمحه وعينه حارسا

عليه حتى يسدد مال الحكومة ، ولكن الجوع

اشتد به وبماليه فأكل قمحه ؛ فمن ذا الذي يمدّه

سارقا ويماقبه عقاب السارق ؟ إن هذا الشيخ

لا يمكن أن يفهم هذا القانون الذي يسميه لصا لأنه

أكل زراعتيه ، وثمرة غرسه . إن هذه الجرائم التي

اخترعها القانون اختراعا ليجمع بها مال الحكومة

أو مال الدائنين ليست في نظر الفلاح جرائم طبيعية

يحسبها بفرزته الساذجة . إنه يعرف أن الضرب جريمة

والقتل جريمة والسرقه جريمة . لأن في ذلك اعتداء

وهي تحتاج إلى شيء من الأناة ؛ فأخرج القاضي

ساعته ووضعها أمامه ، وصاح في المحضر :

— بسرعة ؛ القضية الأولى ...

فنادى المحضر :

— سالم عبد المجيد شقرف ...

فنظر القاضي في الرول وعرف التهمة والتفت

الى المتهم وهو لم يجتز بعد عتبة باب الجلسة وصاح فيه :

— ضربت الحرمة ؟ كلمة واحدة ... قل من

عندك !

— يا سماعة البك فيه راجل يضرب حرمة !

— ممنوع الفلسفة . كلمة ورد غطاها .

ضربت ؟ نعم أو لا ؟

— لا

فصاح القاضي في المحضر :

— أنكروا التهمة . هات الشاهد

فحضرت الحرمة المضروبة تتعثر في « ملابسها »

الأسود الطويل ، فلم ينتظر القاضي حتى تدخل

الجلسة ، وصرخ فيها :

— ضربك ؟

— أصله يا سيدي القاضي ربنا يخليك ...

— مفيش أصله . ضرب والا لا ؟ هي كلمة

لا غير

— ضرب

— كفاية . واستغفرت المحكمة عن بقية

الشهود ... كلامك يا منهم

فتنحنجج المتهم وجمل يدافع عن نفسه والقاضي

مشغول عن سماعه بكتابة الحيشيات ومنطوق الحكم

على الرول بالرصاص الى أن فرغ . فرفع رأسه ونطق

— الحبس بالزور يا حضرة القاضي؟ أنا مظلوم .
لا قاضى سمع كلامى ولا حاكم طلب سـؤالى لحد
الساعة !

— إخرس ! معارضة يا رجل بعد الميعاد ؟
— وماله ؟

— القانون يا رجل انت محدد أربعة أيام
— أنا يا سيدى القاضى غلبان لا أعرف أقرأ
ولا أكتب . ومن يفهمنى القانون ويقربنى
المواعيد ؟

— يظهر انى طوات بالى عليك أ أكثر من
اللازم . أنت يا بهيم مفروض فيك العلم بالقانون .
إحجزه يا عسكرى !

ووضع الرجل بين المحجوزين وهو يلتفت بعنة
ويسرة إلى من حواليه ليرى أهو وحده الذى لم
يفهم ؟ !

وجمات أتأمل لحظة سحنة هذا المخلوق الذى
يفترض فيه العلم بقانون « ناپايون » ! !

وانتهت الجلسة آخر الأمر . ووثب القاضى
ناهضاً وعاد الى حجرة المداولة ، وخلع وسامه على
مجل ، فان قطار العودة لم يبق على قيامه غير سبع
دقائق . ولكن القاضى تعود الركوب فى آخر
لحظة ، فهو فى إمرأه لم يفقد ثباته الداخلى ولا
اطمئنانه ؟ وتنال معطفه الأبيض ووضعه على
ذراعه و- لم علينا وانصرف الى المحطة فى شبه ركض .
وإذا كاتب النيابة يدخل مدرعاً ببعض الملفات
وخلفه عسكرى يسحب مسجوناً والكاتب يصيح :
— القاضى مشى ؟ عندنا معارضة فى أمر

حبس معروضة على حضرة القاضى
فقلت له فى الحال :

ظاهراً على الغير ، وأن الرذيلة الخلقية فيها بديهية
جلية . ولكن التبديد ... كيف يفهم أركانه
وحدوده ؟ إنما هو جريمة قانونية يظل يتحمل وزرها
دون أن يؤمن بوجودها . وأسلم الشيخ أمره
لخالقه . وتسلمه الحراس وهو يقول : « لا حول
ولا قوة إلا بالله » . ونوديت القضية التالية ،
ولم يكذ المحضر بلفظ اسم المتهم حتى كان القاضى
قد وزن « اللوسيه » فى يده فوجده ثقيلاً والشهود
كثيرين ؛ ونظر إلى ساعته ، ثم نظر إلى منصة
المحامين فلم يجد مع هذا المتهم محامياً فعملت أنه
يريد أن يؤجل القضية ، ولم ينجب ظنى ، فقد
التفت إلى النيابة قائلاً :

— النيابة طالبة التأجيل ؟
فنظر مساعدى إلى مرتبكا . فأسرفت قائلاً :
— بالعكس ؛ النيابة تعارض فى التأجيل
فأخفى القاضى امتعاضه وقال فى شبه همس :
— ننظرها والسلام . هات الشهود ...

غير أن القاضى ذكر أن هذه القضية إنما هى
قضية « معارضة » فى حكم غيابى سبق فيها . وينبئ
أن تقدم المعارضة فى خلال أربعة أيام . فقرأ فى
الحال التواريخ وصاح من فوره فى المتهم متنفساً
الصعداء :

— القضية مرفوضة شكلاً يا حضرة المتهم
لأن المعارضة تقدمت بعد الميعاد
فلم يفهم الفلاح ذو « العسرى » هذا الكلام .
وقال :

— والعمل إيه يا حضرة القاضى ؟
— العمل أن الحكم السابق بحبسك ينفذ عليك .
إحجزه يا عسكرى !

— الحق القاضى على المحطة قبل ما يركب
فصاح الكاتب فى المسكرى :

— هات المسجون يا شاويش واطلع على
المحطة

وهو رول الجميع : الكاتب والجاويش والمسجون
فى ذيل حارسه مربوطا فى السلسلة كأنه كاب .
وجروا كلهم خلف القاضى الراكض . وهذا منظر
مألوف لأهل البلد فى يوم هذه الجلسة . فان
الमारضات المتأخرة والتجديد لأوامر الحبس تنظر
ونمضى فى «بوفيه» المحطة قبل قيام القطار بدقيقتين ،
ويتحرك القطار وقدم القاضى ما زالت على الرصيف
والأخرى فى العربىة الأخيرة وهو يقول :

— رفض المارضة واستمرار حبس التهم
فيدون الكاتب منطوق هذا الحكم فوق
« رخامة » مائدة البوفيه ، بينما يتسلم القاضى من
شعبان الراكض خلف القطار المتحرك « سلالى »
البيض والزبد واللحم ، والحاجب يصيح بأعلى صوته :
— اللحم يا بك من بيت اللوح وبيت
الكلوى !

وصعدت بعد الجلسة إلى مكتبى أنا ومساعدى
وقد بدا الوجوم على وجه المساعد ، فقد كان يحسب
أن النيابة ستقوم فى كل قضية تشرح وجهة نظرها
فى الاتهام . ولقد كان أعد لذلك مرافعات طويلة
مكتوبة بخط واضح جميل على « أفرخ فولسكاب »
مسطرة ، فإذا هو يخرج بها من الجلسة مطوية كما
دخل بها ، وإذا الأحكام قد انطلقت انطلاق القطار
فى بساطة وسرعة ، والعدالة قد جرت مجراها فى
طرفه عين كأنها أجواد السباق من دون حاجة إلى هذا
التحليل والشرح والاستشهاد والاستدلال الذى

مهمل لياياله ليحشوه به هذه الأوراق
وخلوت أخيراً فى مكتبى . ودخل على رئيس
القلم الجنائى بريد النيابة . وفتح مظاريفه أمامى
كالعتاد فى كل صباح . وما كدنا نفرض غلافاً أو
غلافين حتى سمعنا نجيحاً خارج الحجرة وصوتا
مدويا عرفت فيه صوت الشيخ عصفور ، فبعثت من
يسأل عن خبره ، فقليل لى : إن المركز أرسله اليوم
مقبوضاً عليه بمد أن حرره له محضر تشرد . فأدركت
أن الأمور ما زال يمتد أن هذا الشيخ هو الذى
خطف البنت . وأن حقه عليه ما زال متأججاً
وأنه لجأ إلى وسائل الإدارة ليقوع به . إن فكرة
إتهام الشيخ عصفور بالتشرد فكرة نيرة لا يمكن
أن تخطر إلا بذهن الأمور المفيظ . والحقيقة أن
هذا الشيخ متشرد لا أكثر ولا أقل . وهو من
هذه الناحية يصلح فريسة لنصوص القانون التى
بين أيدينا . ولكن العجيب أن يسكت عنه المركز
كل تلك الأعوام التى مضت ولا يفتن إلى أمر
صناعته إلا الساعة . إن هذه الوسيلة لم تعجبني
كثيراً ، ولم ترض ضميرى القضائى ؛ فان نصوص
القانون لا ينبغي أن تكون أسلحة فى أيدينا لضرب
بها من نريد ضربه فى الوقت الذى نختاره . إن
القبض على الشيخ عصفور اليوم هو من غير شك
مسألة انتقامية . إن المأمور قد رأى هذا الرجل بقات
من تهمة خطف الفتاة دبر وفسكر فى طريق آخر
لا يستطيع منه الإفلات . هذا أسلوب الإدارة
الذى لا يحسن أن يسلكه رجال القضاء ؛ وعزمت
فى نفسى أن أفرج عن الرجل ، ولكنى أرجأت
النظر فى أمره حتى أفرغ من « توريد البوستة »
التي أمامى . فلقد قدم لى عبد المقصود أفندى مظروفاً

في نفسى : « تلك ملحوظة من النائب العام » .
فأسرعت بفضه فإذا هو بلاغ من مجهول أرسل
الى النائب العمومى رأساً فى القاهرة ، فأحاله على
لأجراء اللازم فيه . فأنشرت في يدي وقرأته بامعان ،
ولم آت على آخره حتى كان قد استولى على العجب ،
وأطرقت لحظة أفكر ؛ ثم أعدت النظر فيه
وتعملت فى قراءة سطره هذه :

« سمادة النائب العمومى بمصر دام
نعرفكم بأن الحرمة زوجة قمر الدولة علوان
المضروب الموجود « بالاسبتالية الميرى » كانت
ماتت من سنتين مخنوقة وتستر عليها - حلاق الصحة
من أجل الرشوة وأجرى دفنها بدون علم الحكومة .
واسألوا زوجها علوان وأختها البنت ريم عن الذى
خنقها . وأسباب الجريمة مألومة ولا تخفى على
فطنكم إذا كافتم خاطركم بالتحقيق بنفسكم وإنكم
تكشفون أسراراً خطيرة ، وتضربون على أيدي
الأشرار . « وتوضعون » العدل فى مجراء . والعدل
أساس الملك . وقد قال الله عز وجل فى كتابه
العزير : (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)
صدق الله العظيم » « فاعل خير »

(يتبع) توفيق الحكيم

آلام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوته الألمانى

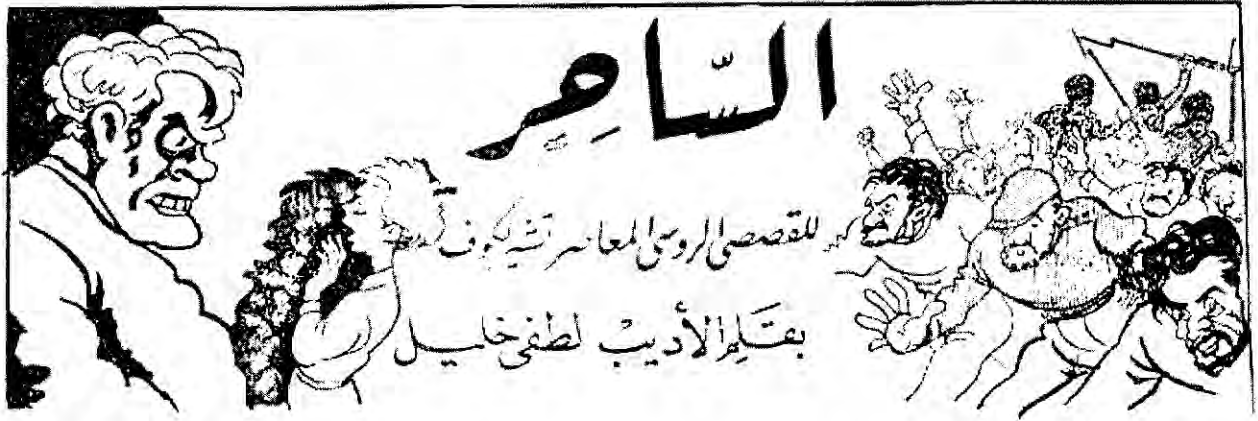
الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد مسمو الزيات

وهى قصة عالمية تعد بحق من آثار الفن الخالد

ومنها ١٥ قرشاً

أسفر ضخما علمت أن فيه « قضايا جنائيات » مرسله
إلينا من الرئاسة لدرسها والمرافعة فيها أمام محكمة
الجنايات المنعقدة هذا الشهر فى عاصمة المديرية التى
نعمل فى دائرتها . فألقيت نظرة على هذه القضايا
فوجدتها تحوى مئات الصفحات . وهل لى رأس
يتسع الآن لكل هذا ؟ لاشئ ينفرنى من عمل
النياحة غير المرافعة فى قضايا الجنايات . فإن من
المسير على ذا كرتى الضميفة أن تحيط بكل تلك
التفاصيل التى تتكون منها الجريمة كي تبسطها بعد
ذلك فى نظام وترتيب وهدوء أمام قضاة ثلاثة عابسين ،
ومحامين متربصين ، وجمهور يشاهد ويحكم لا على اب
الموضوع ، بل على مدى اتقان الحركات والاشارات ،
ورنين الصوت فى القاعة ، ومهارة الالتقاء ، والضرب
باليده فوق المنصة . إني بطبعى لا أصلح إلا للملاحظة
الناس خفية يتحركون فوق مسرح الحياة ، لا أن
بشاهدى الناس ممثلاً بارعاً قد سلطت على وجهه
الأضواء . إن هذه الواقف تسمى بصرى ، وتذهب
لبى ، وتطير ما فى ذا كرتى ، وتفقدنى ذلك الهدوء
النفسى الذى أرى به أعماق الأشياء . لذلك ما ترددت
وأمرت بإحالة هذه القضايا على المساعد ، فهو ما زال
فى تلك السن التى بهر فيها الانسان وبموجب بهذه
المواقف والمظاهر ؛ وقد يكون له من حسن
الاستعداد لهذا العمل ما يجب على أن أوجهه اليه .
وإنى فوق ذلك أتبع له فرصة الإقامة أياماً فى عاصمة
المديرية حيث يجد فى ملاحيتها ومشاربتها ما يرفه
عنه ويلطف من أثر الوحدة والضيق فى هذا الريف
الصامت . وأعجبتنى هذه الحجج ورأيتها كافية
لأقناعى بوجوب إزاحة هذه القضايا الثقيلة عن كاهلى .
وناولنى رئيس القلم الجنائى بعد ذلك مطروفاً آخر
صغيراً قرأت عليه بالحبر الأحمر كلمة « سرى » فقلت



الحوانيت ، ولكن الأمان من أى شيء ولم يقف أحد على السبب ؟

لقد كانت جموع المال تروح وتغدو على الأرصفة ، وثيدة الخطى ساهمة الوجوه تتكلم فى همسات خفية مع من يقابلها من الرفاق ؛ ثم تحديق بعين المقت والحفيظة إلى ذلك الشعب المترف وهو يحظر فى لباس فاخر ويشيح بعيداً عن ذوى الخلقان الممزقة والوجوه الشاحبة المريضة والأيدى الغليظة القذرة التى تشوه جمال الشوارع النظرة التى كانت تفيض بهجة وسحراً فى ذلك اليوم الحربى الجميل الذى كانت فيه أوراق الأشجار الغروسة على أحياض الطرق الفسيحة تلقى أشعة ذهبية — كأنها تستقبل قبلة القراق من الشمس الغاربة — على تلك العربات ذات الطلاء الوهاج ، بينما مراكب الترام بأجرامها المجاجلة ، والسيارات بأبواقها الصارخة ، والدراجات العادية الرائحة تغمز المسالك والدروب

كانت تلك السكتل البشرية تلوح كأنها حجيج غير منتظر قد جاء من عالم آخر يخطو بين أناس مترفين ، فتجنبوا ملامسته أو الاقتراب منه خيفة أن تمسهم منه لوتة أو ينالهم من أطرافه وضرر . ثم ما لبثت تلك الجموع أن تفرقت أبديداً كأنها

كانت المدينة فى هياج وذعر ؛ وكان الاضراب سائداً فى المعامل والمصانع قد اندلع كالنار تسعفها الريح حتى عم سائر الأنحاء ، وفرق الفرسان من الشرط تحترق الشوارع — كأنها رجال المطافيء الذين اعتادوا أن يأتوا مسرعين ، ولكن بعد فوات الفرصة — بوجوه ساهمة مهمومة ينقلون الخطى على قرع الطبول كأنهم رجل واحد والألقى يسطع من حراب بنادقهم وهم يلوحون بها فى الفضاء ، ثم ينفلت بينهم أحد القوزاق فى جلده المارى إلا من الشمر كأنه أبله مجنون فهوئى الناس بعضهم على بعض متسدافعين إلى مختلف الجهات مخافة أن يطأهم بقدميه

بقيت المدينة على تلك الحال من الصخب والاضطراب ، فواجهت الحوانيت تاقى بأضوائها المختلفة ، وجموع الناس تتراحم على الأرصفة فى خوف وقلق ، والعربات تتسارع فى الشوارع فى صراع وعنف . وبات الناس يتوجسون خيفة من كل شيء ؛ فان صفر شرطى فى صفارته أو انفات أحد القوزاق فى الشارع ، أو نزت برأس عمر بيد نزوة الشجار والعبث ، استولى على قلوبهم الخوف والهلع . فيندفع بعضهم إلى مكان الحادث ويولى البعض الآخر الأدبار طالباً الأمان فى مجازات

سرب من الكلاب الضالة عند ما هاجتها فرق
القوزاق الراكضة فسرى الخوف إلى جميع القلوب
— أوى : هل هؤلاء الناس عمال ؟
— نعم ، نعم ... امض في طريقك ولا تتلفت
حولك

— ولكن لماذا يهرولون هكذا ؟
— خوفاً من الشرط . امض ولا تتكلم
— لماذا لا يتركمهم يمشون على مهل مثلنا ؟
— إنه لا يسمح لهم بذلك
— لماذا ؟

— أوه ! أرجو ألا تثقل على . أعطى يدك وسر
في طريقك وإلا ... فالسوط ... فأمسك « سرج »
بيد أمه وأخذ يجري رجله خلفها وقد امتلأ قلبها
رعباً من تلك الجموع المتدفقة حتى سرى إلى الطفل
الصغير الذى كان يحدق فيها حوله وهو ذاهل مأخوذ
— وهل هم أشرار يا أوى ؟

— من ؟ من ؟
— العمال ؟

— لا أدري . فمنهم الطيب ومنهم الخبيث .
إنهم لا يريدون أن يعملوا
— أحم كسالى يا أوى ؟

— نعم . نعم . ولكن هيا . وإلا كنت مثلهم
— أحم أنجاس يا أوى ؟

— وفي تلك اللحظة كان الفرسان القوزاق قد
ركضوا بخيولهم ، وصفر رئيسهم صفيراً عالياً ولوح
بسوطه في الفضاء فدوى كالطلق النارى ارتجفت
له قلب الأم ، فأمرعت إلى إحدى العربات الواقعة
ودفعت فيها ابناً الصغير ثم ألقت بنفسها فيها دون
أن تساوم صاحبها على الأجر بل دفعته من الخلف
وصاحت في صوت مخنق خائف :

— امرع !
— ولكن إلى أين سيدتى ؟
— هناك . إلى الأمام . ياله من ضيق ! أدرس يوماً
— لا تخافى سيدتى . إنهم لن يقتربوا منا .
— وما كادت العربنة تنعطف إلى الشارع الآخر
حتى عاد الهدوء إلى قلب الأم ، فعادت إلى حديثها
الأول :

— تذكر أنى سوف لا أدفع لك أكثر من
عشرين كوبكا .

— إن هذا قليل يا سيدتى .
— إذن ننزل . قف . سنأخذ الترام .
— أنصح لك أن تبقى حيث أنت يا سيدتى فإن
الترام سيقف بعد قليل .
— من قال هذا ؟

— إن العمال سيضربون اليوم . أعلم هذا من
قبل .

وعندئذ كانت جماهير العمال قد اقتربت منهم
فدفعت الأم السائق دفعة قوية فضى في طريقه ،
بينما الابن ينظر إليهم في خوف واضطراب فيلوذ
بأمه شيئاً فشيئاً .

— إنى لأفهم لماذا يهتمون بهم كل هذا الاهتمام ،
فإن كانوا لا يريدون أن يعملوا فلماذا يقطعون
الشوارع جيئة وذهوباً ؟ فسرعان ما مضى الجوع
ويرجعون عن عثرهم .

فأجابها السائق : إنك على حق في هذا يا سيدتى ،
فإن الجوع بغىض ثقيل . ثم أدار وجهه عنها وأخذ
يمبث بشعرات ذفنه ولكنه ما لبث أن التفت
إليها ثانية وقال : « يمكنك أن تروضى حيواناً
بالتجوىع ويمكنك أن تعملى هذا مع أى إنسان
آخر ولكن الاساءة للرجل الفقير خطيئة لا تغتفر

يكذب يستقر في منزله حتى نادى أخته « سونيا »
وهمس في أذنها :

— لقد رأينا اليوم بعض العمال ، لقد رأيناهم
حقاً !
— ماذا يشبهون ؟

— إنهم ... حسن ... إنهم يشبهون الفلاحين
ومنذ ذلك اليوم لم يعد سرج يتحدث كلما
نزل الى حديقة المنزل يلعب مع أخته إلا عن أولئك
الناس الذين عطلوا المصانع وأضرخوا عن العمل ،
ولكنهما لم يصالا الى رأى يرتاحان إليه : أهم أشرار
أم أخيار ؟ أما في المنزل فقد كانوا أشراراً وأما في
الحديقة فقد كانوا أخياراً

وأخيراً ذهب سرج إلى البواب وسأله :
— ولكن هل يستطيعون أن يوقفوا مصنعاً .
— من السهل جداً يا سيدي الصغير .
— كيف يقسني لهم هذا ؟
— بأن يدعوا البخار يخرج أو يتركوا المصنع
قاعاً صافصفاً

— وبدونهم لا يشتغل المصنع ؟
— كيف يشتغل من دونهم ؟
— وبدونهم لن أحصل على ممطف جديد ؟
— لن تحصل
— وسترتي الصغيرة ؟
— كذلك ستترك الصغيرة و « بنظلمونك »
وقيصك ، فستضطرون تسير كما ولدتك أمك .

— عارياً ؟ ... أوه ! يا لك من أبله ! إن أي
تحضر لي كل هذه من الخارج .

— عليك أن تنتظر إذن حتى تصنع ، ولكن
ماذا تعمل لو حدث اضراب عام في السكة الحديدية ؟

والآن من يكسونا أيها السيدة إذا ما بلى ممطفك
اليمين وتآكلت شلتى البسيطة ؟

— لا تهتم يا رجل مادام معك المال الكافي .
فان لم يشتغل عمالنا اشترينا ما يلزمنا من الخارج .
— ولكن ماذا نعمل اين لو وقفت قطارات
السكة الحديدية ؟

— هذا لغو . إن القطارات لن تقف أبداً .
من يسمح بهذا ؟

— من يدري ؟ إنهم يشيرون أنها ستقف حالا .
فأصت « سرج » الى الحديث الذي دار بين
السائق وأمه وطار في أمر أولئك الناس الذين
يطعمونه ويكسونه وفي الوقت نفسه يهربون من
رجال الشرطة . لقد اشترت له أمه ممطفاً جديداً
للشتاء فلفه في أوراق ووضعته على ركبتيه يخفق له
قلبه فرحاً كلما خطر له أن ما من إنسان يستطيع
أن ينزعه منه

— وهل صنعوا ممطفي الجديد هذا يا أمي ؟
فأجابه السائق : لقد صنعوا كل شيء أيها
السيد الصغير ، ما من شيء إلا وكان من فضل أيديهم .
فغضبت الأم من هذا الكلام وشدت ابنها
من كفه وقالت له : اسكت . لا ينبغي لك التحدث
معه . أما السائق فقد مضى يتفلسف في نفس
الطريقة حتى ضاقت به الأم وصاحت في وجهه
غاضبة : « وأنت أيها الرجل يجب أن تزج في
السجن »

فسكت الرجل عن الكلام وألهم جواده
بالسوط فأخذ يطوى الطرقات حتى وصل الى المنزل .
وهكذا رجع سرج والشكوك تملأ رأسه في
حقيقة أولئك الناس الذين يدعون « العمال » فلم

— أيمكن أن تقف السكة الحديدية عن العمل ؟

— هناك إشاعة بأن القطارات ستقف .

— وماذا يكون مصير والدي ؟ كيف يعود إلينا ؟

— أوه ! ربما يمتطى عصا .

— اسكت عن هذا الهراء . سأبلغ هذا إلى أمي

التي سوف تجزيك عليه .

ثم غاب في تفكير عميق ، وأخيراً جذب

كم مغطيه الحديد ، وقال :

— وهل حاك العمال هذا أيضاً ؟

— نعم . لقد صنعوا كل شيء . إن أمك لم

تعمل أكثر من أن أوجدتك في هذا العالم .

لم يمض على هذا يومان حتى كان الترام قد وقف عن

السير ، واحتجبت الصحف عن الظهور ، وأغلقت

الحمامات أبوابها وانطفأت المصابيح في الشوارع

وتعطت القطارات عن السير ، وعم الملح سائر

المحطات حتى أخذ الناس يتوقعون شللاً عاماً في

حركة المواصلات بين ساعة وأخرى

كان مقدراً أن يصل والد « سرج » في ذلك

اليوم ، ولكنه لم يأت فقلقت الأم وأشاحت بوجهها

عن كل من بالمنزل ، ولم يسمح « لسرج » أن ينزل

إلى ردهة الدار ، فكان يقضي الساعات الطوال في

إحدى النوافذ يأكل قلبه شوق ملح ليقف على

ما كان يجري في الشوارع

— وهل سيأتي أبي حالاً إلى المنزل يا أمي ؟

— إنه لا يستطيع ذلك ، ثم أخذت تلعن

الاضراب والعمال والوالد أيضاً

— أحقاً يا أماء أنهم يستطيعون ؟

— يستطيعون ماذا ؟

— أن يمنموا السفر بالسكة الحديدية

— يظهر أنهم يستطيعون ، لا تثقل على . ثم

ترقرق الدمع في جفניה وهاجت نفسها حنقاً وغضباً ،

أما سرج فقد أدار رأسه إلى النافذة وأخذ ينظر

إلى السارة في شيء من الاهتمام والخوف ، ثم

همس قائلاً :

لو استطعت لقاتلتهم جميعاً ! !

ولم يأت المساء حتى كانت الشوارع قد أقفرت

من المارة فأغلقت الحوانيت وأقفلت النوافذ بالمصاريع

الخشبية ، وأخذ رجال الشرط والقوازي بطوفون

في الطرقات لا يقفون إلا في الأماكن التي أوقدوا

فيها النيران ، فلم يستطع الابن أن ينام بل كان يقفز

من فراشه في موهن الليل ويتسلل حافياً إلى النافذة

ليرى ما كان يجري في الشارع

كانت السنة النيران تندلع في الفضاء وأشباح

مهولة من الناس تتحرك حول النيران الجراء كأنها

وحوش ضارية تدور حول فريستها ... فيحس

الابن برعدة تمشي في جسمه فينكش راجعاً إلى

فراشه وقد توهمهم وحوشاً جائعة سوف تنقض

عليه وتشويه في تلك النيران المستمرة ثم تلهمه

التهاما ، فينزوي في فراشه الناعم الدفء وهو

يصيح : أمي ! أمي ! إني خائف مقرر .

— لماذا لم تنم ؟ ولماذا قمت من فراشك الآن ؟

— إن النار في استعمار دائم يا أمي وهؤلاء الناس

لا يزالون أمام نافذتنا

— نعم ولا تخش شيئاً . آه لو يأتى والدك ؟

— أمي !

— ماذا بنى العزيز ؟

— أريد أن آتى إليك . إني خائف

— مم ، بنى المحبوب ؟

— الساحر ! :

— أى ساحر ؟

— أشكال مختلفة

— إذن فلتأت إلى

قفقز سرج من فراشه فرحاً وجرى إلى سرير أمه وقبض على يدها وقد اختبأ تحت الغطاء ثم همس قائلاً : « إنهم يستطيعون أن يعملوا كل شيء »

وسرعان ما غابت الأيم في النوم من جديد تاركه ابنها يطل برأسه من تحت الغطاء وينظر إلى الحائط فيرى الأطياف الحمراء التي تمكسها نيران الشارع المستمرة فيستولى عليه الخوف ثانية فيأق بالغطاء فوق وجهه ويمود يفكر في أولئك السحرة الأخيار والأشرار وفي أولئك الناس المدعويين عمالاً : أهم أخيار أم أشرار ؟

وفي الصباح جلس إلى المائدة ليتناول طعام الافطار ولكنه لم يجد السكك الساخن الذي اعتاد أن يراه كل يوم بل وجد خبزاً ناشفاً بارداً لا يفرى على الأكل . فصاح : هات لي بعض السكك ، لماذا تقدمين لي هذا الخبز القذر ؟ ثم أخرجه الغضب عن نفسه فألقى بسلة الخبز بعيداً دفعا لتلك الالهة التي لحقته من والدته :

— أشكر الله يا «سيد» سرج على هذا الخبز الآن

— ماذا ؟ عليك ببعض السكك . أمى ! لماذا

لم تأت لي بالسكك اليوم ؟

— ولكن أين أنا به الآن يا عزيزى سرج

وقد أغلقت كل الخازن

— لماذا ؟

— لأن جميع العمال مضربون

— العمال أيضاً ! ثم حك وراء أذنه بيده وقال :

— وماذا نفعل بدون السكك ؟

— سنفكر في حيلة

— ولكن ألا يستطيع المحافظ أن يجبرهم

على خبز السكك ؟

— لا يا عزيزى سرج ، إنهم لا يخافونه

— ألا يخافون المحافظ ؟ !

— إنهم لا يخشون إنساناً قط

— إذن فهم ذوو بأس شديد ؟

— بيدهم كل شيء . فلتأكل هذا الخبز اليابس

الآن فسوف لا تجده قريباً

— إلى لا أستطيع أن آكل الخبز الأسمر

— نعم ، ولكنك ستفرح به غداً

— لماذا ؟

إلناث الأمر على سرج فلم يعد يدرك أى نوع من الناس هؤلاء الذين لا يخافون المحافظ ولا يخشون إنساناً قط ولكنهم مع ذلك يفرون من وجوه القوزاق ورجال الشرط . ما العمل ؟ أيوقفون المصانع ويمطلون الترام والقطارات والصحف . ويسلبونك السكك ثم الخبز الأسمر ثم لا تعمل شيئاً لهم . ثم أخذ يستعيد في ذهنه صور الساحرات والسحرة الذين قرأ عنهم في القصص الخرافية المديدة وتذكر قلانسهم المسجورة التي تخفيهم عن أعين الناس فلا يمكنهم أن يقبضوا عليهم فإذا أمرهم المحافظ أن يعملوا لبسوا تلك القلانس المسجورة وغابوا عن العيون ! !

ثم سرى القلق من الشوارع إلى البيوت وشاع الخوف في نلوب كانت من قبل آمنة مطمئنة فانقلب نظام الأمر واضطر أصحابها إلى تغيير عاداتهم والحد من مطامعهم واختفت مباحج الحياة من

المدينة كلها وقد الناس هناءة العيش . وأخيراً
تسلل الخوف إلى تلك القصور النيفة حيث كان يقيم
سرج وأمثاله فأغلقت الأبواب وأحكمت الأقفال
ووقف البوابون أمامها يتبادلون الحديث مع الحراس
والمسسم وهم ينفخون في صفافيرهم . وجأزة انقطعت
الكهرباء عن منزل سرج فنادى أمه قائلاً : « في
الكهرباء خلل يا أمي »

— أضيء حجرة الاستقبال

— وهذه أيضاً

ثم جاء الخادم وأخبر سيده أن هناك اضراباً
عاماً فملينا بالشموع

وعلى هذا شمل الظلام المنزل كله لا يظهر فيه
إلا أضواء الشموع الباهتة المضطربة التي كانت
تنمكس على المقاعد و (البيان) فتلوح في أعظيتها
وستأثرها كأنها جثث في أكفانها قد غابت في
تفكير عميق . وبينما هم كذلك إذ جاءتهم الأنباء
المزعجة بحملها الخدم الذين كانوا يتحدثون في
غرفهم الخاصة

« إنهم يشيرون أن المياه ستنقطع ، وقد سمعنا
الآن أن حفلات الجنائز ستقف ، وإن يكون لهم
في السوق غدا ، ولو استمر الحال على هذا أسبوعاً
واحداً فإن قحطاً هائلاً سوف يحتاج المدينة »

استمع « سرج » إلى تلك الأخبار المزعجة
وهو ذاهل مشدود ، فقد ظهر له أن العامل هو
الممثل الأول لهذا الدور ومرعان ما انبثق في ذهنه
أن العامل ما هو إلا ساحر ، ساحر ذو قوة غريبة
يمكنه أن يأتي كل شيء . فلو أراد لاستأنفت
القطارات سيرها ورجع أبي إلى المنزل وعادت
الكهرباء تضيء كما كانت ، فيعود للغرف بهاؤها

ورواؤها . ولو شاء لكان لدينا الآن كمك كثير
ساخن ، وإن لم يشأ فلن يجرى الماء في الأنابيب
وإن يكون هناك شاي أو حمام . إنه لا يخاف إنساناً
ولا يخشى سلطاناً . ياله من ساحر ! !

لقد كان الصبي واثقاً من هذا فلم يعض أسبوعاً
حتى حدثت المعجائب في يوم واحد . فقد استأنف
الترام سيره وفاضت الشوارع بالأنوار الكهربائية
الحافظة وعادت الصحف إلى الظهور ورجع الوالد
إلى بيته فركب معه إحدى العربات اخترقت بهما
الشارع العام فرأى السحرة قد تجمعوا كتلاز أخيرة
مبتهجة يحملون الأعلام الخفاقة وينشدون الأناشيد
المعذبة دون أن يتصدى لهم شرطي أو يروعهم قوزاق
فتاق الطفل الخروج إلى الشارع ليأمرهم
بنفسه فقال :

— أي ! لقد عاد السحرة يخطرون في الشوارع

دعيني أخرج لأراهم

— إنك لا تستطيع

— إنهم ليسوا أنجاساً بل أطهار الآن . أليس

كذلك يا أمي ؟

ثم مضت عدة مشهور كان فيها كل شيء حسناً
فعاد للبيت مرحه القديم وجنته المفقودة . ثم
تصادف يوماً أن ذهب الوالدان إلى إحدى الملاعب
وخرجت المربية لقضاء حاجة لها ، وانصرفت
الأخت إلى عرائسها ولأمها بينما الجدة كانت لا تزال
طريحة الفراش . فأحس الطفل بشيء من الضيق
إذ لم يكن هناك ما يلهيه أو يسرى عنه فأخذ ينتقل
من غرفة إلى أخرى في تراخ وكسل

— جدي ما ذا أعمل ؟ ؟

— فانتدلك ساقى ، فإن الألم عاودني فيها

وفتح عينيه فرأى رجلاً قد ارتدى ثوباً بالياً وجلس على مائدة صغيرة بلنهم طعاماً ساخناً يتصاعد منه البخار وهو يتلفت حوله في خوف وحذر ، وقد أمسك الطبق بيده كأنه يخشى أن ينزعه منه غيره . فاشرباً الطفل بمنقه ثم تلفت حوله وقال : « ولكن أين الساحر ؟ » لم يكن هناك غير الخادمة وهذا الرجل ؟

أيحتمل أن يكون هذا الرجل هو الساحر الذي يخافه ؟

ثم قويت رغبته في رؤية ذلك الساحر ، فاندفع إلى المطبخ ، فقفز الرجل واقفاً وقد سقطت المعلقة من يده ، فقالت الخادمة :

لا شيء ، إمض في أمرك . فلن يذيع السيد الصغير شيئاً

فأجاب سرج . أي شيء ؟

— لا تخبر أباك أو أمك بأمر هذا الرجل

الذي يتناول الحساء . إنها فضلة من طعام قديم !

— حسن

إنه جائع فيجب أن ترحمه أيها السيد الصغير

— من ؟

— إيه : هذا الرجل زوجي

— زوجك ؟

فأتى عليه الطفل نظرة شرراء وهو واقف في قوام يخيل ! يرتجف خوفاً ورفقاً ، ولكنه ظنه

ساحراً حقيقياً قد أبس هذه الصورة الزرية المكتيبة

ثم قال كذلك أنت . إنك ساحر ... إني أعرفك

— من ؟

— أنت ! أنت !

— إني عامل ياسيدي الصغير ولكني لا أجد عملاً

— ولكنك ساحر ... إني أعرفك . تستطيع

— إني لا أحب هذا . فهو عمل ثافه ثقيل .

ثم تركها وانصرف إلى أخته ولكنه لم يكذب على عرائسها حتى تناول واحدة منها وكسر ذراعها وولى عارباً إلى المطبخ ليرى الطاهية الجديدة ، ولكن الخادمة لم تسمح له بالدخول فقال لها :

— ولكن ماذا أعمل إذا كنت وحيداً ؟

— ليس في المطبخ ما تلهو به

— ولكن من ذا الذي يتكلم هناك ؟

— إنه زوج الطاهية

— إنه مُسَلِّ

— لماذا ؟ إنه رجل عادي . عامل

— أزواج الطاهية عامل ؟ !

— نعم

— ساحر ! يجب أن أدخل إليه

— لا . إني أشكوك إلى المربية وأخبر أمك

بذلك إن فعلت هذا

— إذن فأنت كاذبة . سأخبر أمي أنك أكلت

القشدة

إنك كاذب في هذا فقد التقطت ذبابة فقط

ثم تشاجراً معاً ، ولكن الطفل لم يجرؤ مع

ذلك على دخول المطبخ فبقى واقفاً ببابه متردداً في

الأمر حتى جاءت الخادمة وفتحت الباب فأسرع

بختلس النظر إليه فاستطاع أن يسمع صوت الساحر

ولكنه لم ير الرجل نفسه ؛ ثم استبد به الشوق للملح

والرغبة القوية ، فعزم أخيراً على الدخول . ولم يكذب

يرى الخادمة تبعد قليلاً حتى صاح : « أشكرك اللهم »

ثم اقترب من الباب وأخذ يفتحه شيئاً فشيئاً بيد

المكنسة حتى انفتح على مصراعيه ولكنه لم يستطع

أن ينظر إلى المطبخ دفعة واحدة ، فوقف قليلاً موطئ

الرأس حبس النفس حتى استجمع من شجاعته

أن تعمل كل شيء .. لقد أتيت كل تلك الأضرار ،
ولكن حذار أن تعود إليها ثانية . إن ضوء الشمعة
باهت كئيب ولا أحب إلا الكمك مع الشاي
— إنى لم أعمل شيئاً يا سيدى الصغير وسأترك
هذا المكان حالاً
— ولكنك غير مخيف كما كنت أظن . لقد
حسبتك هائل الجسم مارد القامة عابس الوجه .
قل لى : ألم تسحر نفسك ؟
— أتسخر منى لأنى لا أجد فتات الخبز . حرام
يا سيدى حرام
— ولكنى كنت أظنك أعظم من هذا وأنتك
مرح طروب فرأيتك ترتعد فرقا وأنت تتناول
طعامك . إنى لا أخافك بعد ذلك
ثم انسل الطفل إلى المعر العام ووقف قليلا ،
وهو متأهب للجري إذا هم الساحر بمطاردته ، ولكن

لم يحدث شيء من هذا بل كان هناك رجل واقف
بجانب أحد الجدران يشفق شهيقاً عالياً ثم يجفف
عينيه بطرف كفه . فصاح
ساحر ويبكى !! إنه الجزاء العادل !!
— لماذا لم تدع أبى يعود إلينا ؟ لماذا قطعت عنا
الكهرباء ؟
— لماذا حرمتنا من الكمك الساخن ؟
— فلتنل الآن جزاء ما قدمت يداك
ثم صرخ صرخة عالية دوت في جميع أنحاء
المنزل
مرحى . مرحى ..
ثم أسرع إلى مربيته في نشوة المنتصر الفائر
وهو يقول :
لست أخافه بعد اليوم !!
تظنى ضئيل

شركة مصر للغزل والنسيج

تخفف عنكم وطأة حرارة الصيف المقبل

بما تنتجه لكم

من ملابس قطنية خفيفة وجميلة وبأسعار معتدلة

أطلبوا منسوجاتها من

شركة بيع المصنوعات المصرية

إنها إحدى مؤسسات بنك مصر

صَيْدُ السَّمَكِ

للكاتبة الإنجليزية سِرْسِفِيلْد
بِاسْمِ الْأَرِيبِ حَسْبِشِي

الجليد ؛ ومضى الرجال
يطرحون شباكههم على بعد
مائة قدم ؛ أما أنا فقد
تدثرت بالحرام ، وجلست
على قطعة من الناج ،
وأخذت في مطالعة كتاب
كنت قد أخذته معي

وأقبل الرجال ظهراً ، وقد أصابوا صيداً كبيراً
وكان كل منهم قد اشتد به الجوع ، وإذا كنت المرأة
الوحيدة بينهم ، فقد قمت بأعداد الطعام وتهيئته ،
ثم جلسنا حوله نلتهمه ، متجاذبين فيما بيننا أطراف
الحديث ، أما أنا فقد جلست أنصت إليهم ، إذ كانوا
يتكلمون عن تجاربهم في الصيد ومهارتهم فيه ، مما
لابدع مجالاً للمرأة . ثم
عادوا إلى الصيد ؛ وإذا
بالشمس تختفي ؛ ثم
أربد الأفق ونجهمت
السماء ، وتراكت
السحب ، وهبت
ريح عاصف ، وأخذت
قطع الناج بصطدم
بعضها ببعض في
صوت قوى أزعجني .
ولما أفصححت لأخي

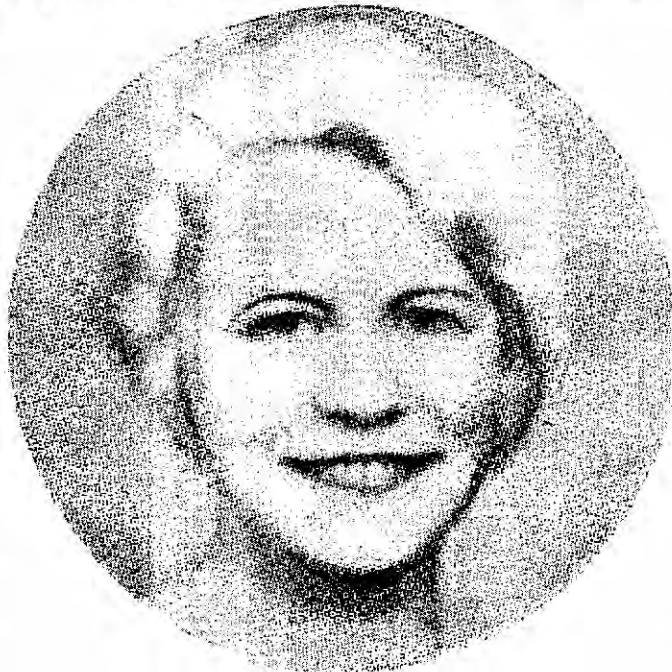
عن مخاوفي فحك مني ، وسخر بي وطلب إلى أن
أخرج ما اصطاده من شبكته ، حتى أشغل عن هذا
الفرع . ولما أتممت ما وكل إلي أدائه ، اقترح أن
أقوم بنفس هذا العمل الآخرين .
كان أربعة رجال منهم قد جلسوا على يسار أخي

في صباح باكر من أيام يناير ١٩٣٠ غادرت
أنا وأخي وخمسة أصدقاء لنا مدينة سنجاو ، ووجهتنا
متشيجان لصيد السمك . وقد يلوح المرء أن من
الغريب أن يذهب أحد في شهر يناير للصيد في جو
كجو متشيجان هذا ، ولكن ينبغي أن أذكر أن
كثيرين يكسبون قوت عائلهم خلال هذا الشهر .

كان الأفق منيراً ،
والسبيل واضحة ،
ومع أن الأرض كانت
مغطاة بالجليد ؛ إلا
أن الحرارة كانت فوق
الصفر بوضع درجات ،
والجو دافئاً ، وتدثرنا
بالملابس الغليظة ،
واستصحبنا معنا
صناديق الذخيرة ،
وقد وضعنا القهوة

الساخنة في « الترموس »

وإذا وصلنا خليج سجناء وهو البقعة التي
اخترناها للصيد وجدنا الجليد يتوغل قرابة ميل
في اتجاه البحيرة ، فتركنا عربتنا على الشاطئ ،
وحملنا منها بمض الذخيرة ، جاعلين وجهتنا حافة



الكاتبة

البحيرة ، وكان الهلع قد اشتد بي في هذه اللحظة ، ولكن زميلي "أقبلا على" يشجمانني ، فأخذنا بشيران إلى الشاطئ ، حيث كان رفيقان من رفاقنا يدفمان العربة ، ولكن الجو أخذ يبرد عن ذي قبل ، وعم الظلام حتى لم نستطع أن نتبين أحداً ، وأقبل الليل ورأيت أن حجم كتلتنا الثلجية قد تضاعف إلى نصف حجمها الأول ، وابتلت ملابسنا بما كانت تسفيننا به الريح من ماء ؛ ولم ألبث أن شعرت بالبرد القارس فأجلستني توم وويلاند بينهما ، وذراني بمطائين مما أحضرته ؛ أما رفاقنا الآخرون فقد اختفوا تماماً ، ولم يدع الرجال وسيلة من وسائل التسلية إلا حاولوها ممي ، وأقبلا بطمئنان خاطري بأن لا بد من مجيء قارب نجاة بعد قليل . وأخذ الثلج يتحرك بشدة فزاد ذلك في رعبنا ، واشتد البرد ؛ ولم تلج أي بادرة من بوادر النجاة . ثم أشعل توم عود ثقاب ونظر في ساعته ، فإذا نحن في منتصف الليل ، فكان لنا في هذا الموقف ثماني ساعات . وحاول (ويلاند) إلياسي معطفه الجلدي ، فأيت ذلك ؛ ومن ثم سار وسط الحلوكة محاولاً معرفة ما بلغته الكتلة من مساحة ، ولم أستطع أن أرى أكثر من ستة أقدام أمامي ؛ غير أنني لاحظت أنه سرعان ما رجع إلينا ، فسألته عما صارت إليه الكتلة وما بقي من الثلج ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة ، فتخاذل جسدي كأنما خدر ، وشعرت كأنني في غيبوبة .

وعلى حين فجأة صرخ توم واختطفني ثم دفعني عن نفسه إلى الجانب العكسي ؛ فدُرْتُ عدة مرات حول نفسي قبل أن أتمكن من الوقوف ، ثم اثنتيت زاحفة إليه ألهث ، وقد أبصرته منبطحاً على الثلج ، وأمامه الماء ، ولم أعرف إذ ذاك ما كان

(توم) متحدثين ؛ ولما أتممت عملي مضيت ناحية الصياد الأخير ويدعي ويلاند ، وكان صديقا قديما لي فجلست بجواره ، وأخذنا نتحدث فيما بيننا ، ثم أقبِل «توم» واشترك في الحديث ؛ وأخذ الجليد بصطدم بمضه يعض ؛ وبالرغم من ضحك رفاقي كنت خائفة ، إذ لاحظت أن الريح أخذت تشتد عن ذي قبل ، وتموى هدارة صاحبة ؛ وفي الحال أخذت كتل من الثلج هائلة الحجم تندفع بشدة وتهوى إلى البحيرة ، فاقترحت على توم أنه ربما كان الأجدي علينا أن نغادر هذه البقعة ، ولأول مرة في حياته خضع لطلبي ، وأخذنا نعمل جميعا معا في نقل ذخيرتنا .

وانحنيت لانتقاط بضعة سمكات حينما سمعت صوت اصطدام هائل ، فانتصبت ، فإذا بي أرى لشدة هلي واضطرابي شريطاً أسود من الماء قد فصلنا نحن الثلاثة عن الأربعة الآخرين ، فصرخت بأعلى صوتي ، وإذا ذلك أبصرت قطعة الثلج التي نحن وقوف عليها ، قد أخذت تتحرك ناحية البحيرة ، فقفز توم وويلاند في مكانهما ، واندفع الأربعة الآخرون يجرون هنا وهناك وينصحبوننا بما لا طائل تحته ... كان طول كتلتنا الثلجية مائة قدم ، وعرضها سبعين تقريباً ؛ فخرى توم إلى حافتها ، وحاول أن يلقى بأحد أطراف شبكة صيده للآخرين ولكن لم تساعده قواه وعاكسته الريح ، وازدادت مساحة الانفصال بيننا وبينهم ، فرمى بالشبكة ثانية ففشل أيضاً ، إذ وقع في الماء ، وأحاطني (ويلاند) بذراعه ، وقد اصفر وجهه وجذبني إلى وسط الكتلة الثلجية ، فقد كان ذلك كما يظهر آمناً مكان ، إذ كانت الحواف تنهشم قطعاً قطعاً ؛ وأخذت الريح تشتد عنفاً ، وتدفعنا سريعاً إلى ناحية

قدما ، فافزعني هذا ، والتفت الى (ويلاند) وقد غشى عليه ، وصرخ أخى نجاة وقد قفز قفزة عالية فالتفت فاذا نور ينبثق من مشعل سفينة وهو يتلألأ وسط هذا الديجور القاتم وأخذنا ننظر إلى هذا الضوء في لهفة وشوق وهو آخذ في الاقتراب منا لحظة بعد أخرى ، وصرا أمامنا ست مرات ، وبعد لحظات قلائل أنزل زورق النجاة وسار تجاهنا ، وقفز منه رجلان نحونا ، ودثراني بالأغطية ، وحملاني الى الزورق

ثم عادا بويلاند وتوم وسارينا الزورق الى الباخرة ، فأبصرت جزييرتنا الصغيرة وقد خلع عليها الضوء لونا شفقيا بهيجا ؛ ولم أشعر بلذة ما في حياتي كلدتي وأنا أرشف القهوة الساخنة التي ناولنا إياها الضابط في حجرته بالسفينة ؛

وشربت ثلاثة أكواب منها ، فأحسست بالقوة تسرى في جسدي ، ثم شعرت برغبة شديدة في النوم ، ولما استيقظت بعد أربع عشرة ساعة أبصرت نفسي على سرير في إحدى المستشفيات . أما ويلاند فقد استعاد صحته برغم ما حاق به من أهوال بعد يومين . أما أخى فقد كان أسرع منه ومنذ تلك الحادثة ، قصرت صيدى للسماك

على المياه الضحلة خلال شهرى مايو ويونيو

من صبي

يفعله توم ؛ ولما اقتربت من الحافة أكثر ولمسته قال : « هاتى يدك يا بنتى ! »

فرددت إليه ذراعى ... وإذ ذاك عرفت ما كان

يعمل

لقد كان يحاول إنقاذ ويلاند ؛ ذلك أن قطعاً

من الثلج قد انفصلت وانزلقت في الماء وعليها (ويلاند) ؛ فجذبني أخى ، ولما عرف أنى أصبحت بمأمن من الفرق مديده لجذب زميلنا ، وحاولت أنا الأخرى انقاذه ،

ولكن لم أتبين يده أو جسمه لشدة الظلام المتراكم بمضه فوق بعض ، واستطعت أخيراً أن أمس أصبعه ؛ ولقد كان صراعا عنيفا لا أستطيع وصفه . ونجحنا أخيراً في جذبه ، وأحسست كأن ذراعى سينفصلان عن



جسدى ، وأخذ الثلج يتراجع الى الوراء ، ورقد ويلاند أمامنا كأنه الجثة الهامدة ؛ وظل ثلاثتنا بضع دقائق واجين صامتين من شدة الفزع والرعب ؛ ثم احتملناه الى الكتلة الجليدية ودثرناه بالأغطية ، ولما لم يُجد فيه هذا الملاج ، أخذ توم في تحريك ذراعيه بقوة ، يدفعهما الى الأمام والخلف ليسرى الدم في عروقه . وإذ ركعت بجانبه تبينت أن الماء قد أحاط بنا احاطة السوار بالمعصم ، ولم يبق من الكتلة الثلجية الطافية سوى مساحة لا تتجاوز عشرين

اليها فأشعر بحزن عميق ، لأنها لم تكن صديقة
عشيقتي غيب ، بل كانت أيضاً مستودع أسرارها ،
وكثيراً ما كانت تمضي معنا ساعات السمر فأستثقلها
وأتمنى أن تخلني لنا المكان . ولعل نفورى منها تولد
من صبرى على فضولها . وما كان تساهلها معى ومع
عشيقتي ، بل وما كان وقوقها مراراً موقف المدافع
عنى نجاها ، ليمحو سيئة هذا الفضول ، فكنت أراها
قبيحة ثقيلة . ولكننى أنعمت النظر فيها هذه المرة
فلاحت لى وعليها مسحة من الجمال ، فكنت أصدق
فى يديها وأثوابها فأشعر بأنها تحرك ساكناً من
فؤادى ، وكانت هى تصدق فى فلا يخفى عليها أمرى
وما يفعل التذكار بعواطفى ؛ وقطعنا مسافة الطريق
وأنا أنظر اليها وهى تبتسم لى . ولما بلغنا المدينة
قالت : — وأخيراً . فقلت : — أخبريها إذا

شدت ، وأنهر الدمع من عيني
وبعد أن تناولنا العشاء جلسنا أمام الموقد ،
فقالت : أفضى الأمر وانقطع كل رجاء ؟ فقلت :
والأسفاه ! إن الأمر الملقى إنما هو فخيمتى ، وستودى
هذه الفجيمة بى . ولا أظيل بوصف حالى : لقد
امتنع على أن أحبها وأن أحب سواها وأن أعيش
بلا حب

واستأقت على مقعدها متراخية وقد لاحت على
وجهها علامات الأشفاق ، واستفرقت لحظة كأنها
تناجى نفسها وتنصت من قلبها الى أصداء بعيدة ،
ثم مدت الى يدها فاقتربت منها فقالت : — وأنا
أيضاً قد أصابنى ما أصابك ، وتهدج صوتها فقطعت
حديثها

إن المحبة أخوات عديدات أجهلن الشفقة .
صاغت هذه المرأة وتدانينا حتى كاد أحدهنا



من أعماق النفوس

استغفاني في العصر

لأفريدى موسى

بقلم الأستاذ فليكس فارس

الفصل السادس

وفى اليوم التالى ذهبت قبل العشاء الى غابة
بولونيا وكانت السماء متلبدة بالغيوم : ولما وصات
الى باب مالو أقيت عنان فرسى على عنقه ، وذهبت
تأشها بين الأشجار مستغرماً أستعيد أفوال ديجنه فى
ذهنى ، وما توغلت فى أحد المنعطقات حتى لاحت
لى عربة تستقلها إحدى صديقات خليلتى ، فمدت
إلى يدها لتصافنى ثم دعتنى الى تناول العشاء معها
إذا لم يكن من مانع لى

وكانت هذه المرأة — وتدعى مدام ليفاسور —
قصيرة بدنية شقراء ، وكنت أنفر منها دون ماسبب ،
ولسكننى لم أملك نفسى من قبول دعوتها ، لأننى
كنت أتوقع حديثاً معها عن عشيقتي ، وأمرت
رفيق السائق بقيادة فرسى فذهب به ، وجلست
أنا قربها وعدنا الى باريس

وبدأ المطر يتساقط ، فأزلنا الغطاء وأصبحنا
فى عزلة ، وقد ساد علينا السكوت ، وكنت أنظر

وكان يسود سكوت عميق حول البيت التي تقطنه هذه السيدة ، إذ كان يسكن أحد أقسامه مريض ، ففرش التبن على الطريق المجاورة منعاً لفرقة العربات ، وكنت أنا مطوقة هذه المرأة بذراعى وقد أذهاتنى عاطفة اقتسام الأشجان ، وطالت محادثتنا فكنا نتشاكى فأشعر أن بين آلامى وآلامها شيئاً من اللذة ، وأسمع صوتاً مواسياً كأنه نشيد سماوى يتعالى من اثنين متوجعين . وكان دمعا نابهاً جان وأنا مكب عليها فما كنت أرى غير وجهها ، ولكنى عند ما تراجعت عنها رأيت أنها كانت فى هذه الأثناء رفعت إحدى رجليها وأسندتها على رف الموقد فانسحب رداؤها حتى بدت ساقها عارية

ولما رأت اضطرابى لهذا المشهد لم تغير وضعها فأدبرت ظهرى ليتسنى لها ستر ما انكشف منها فتجاهلت الأمر . فوقفت الى الموقد أفرس فيها واجماً ؛ وإذا تضج لى أنها مدركه ما تفعل أدركت بدورى أن هذه المرأة قد شامت أن تلعب دورها لأغوائى ، فما كانت دموعها وما نقلته عن آلامها إلا اختلاقات تستكمل بها فنها

أخذت قبعتى وتوجهت الى الباب ، فأرخت رداءها على مهل ، فلم أنبس بكلمة بل أومأت مسألاً وخرجت

الفصل السابع

وعند ما رجعت إلى مسكنى وجدت وسط غرفتى صندوقاً كبيراً . وكانت إحدى عماتى انتقلت إلى ربها ولم تكن حصتى من ميراثها

بالتصق بالآخر ، فبدأت تتكلم مثنية على عشيقتى تنتحل لها الأعذار وتوجه إلى كلمات الاشفاق ، وازداد حزنى فلم أجدها ما أجيبها به ، وذهب بها الحديث الى التكلم عن نفسها ، فأمرت إلى أن رجلا أحبها ثم تركها منذ أمد غير بعيد بعد أن ضحت فى سبيله صيتها والكثير من ثروتها ، وأن زوجها وهو رجل حقوق كان يهددها . وكانت تذرف الدموع وهى تسرد حكايتها حتى نسيت همى بهما ؛ ثم استطردت فقالت إنها تزوجت مرغمة فقام النضال ظويلاً بين عقلها وعواطفها ، وهى الآن لا نأسف على شيء أسفها لبقائها محرومة من الحب . ولاح لى أنها كانت تلوم نفسها لأنها لم تعمل على الاحتفاظ بقلب عشيقها ، إذ علمته بشيء من الاستخفاف

وعادت فاستسلمت للصمت بعد أن فرجت عن قلبها فقات لها :

— ما هى بالصدف العمياء تلك القوة التى قادتنى الى غابة بولونيا هذا الصباح . إن الآلام البشرية أخوات تأوهات ؛ ولعل هنالك ملاكاً كريماً يضم هذه الراحة المرجفة البسوفة نحو الله تتوسل الى رحمته . لا تندى على ما بحث لى من سرى ، فما للانسان أن يندم على دمعة ذرفها أمام أى مخلوق كان . وما سرى الذى أودعتنيه إلا دمعة سقطت من عينيك فاستقرت فى فؤادى ، فاسمعى لى أن أرجع إليك أحياناً لننشاكى وتنالم معاً

وشمرت بمطف شديد يجذبني الى هذه المرأة وأنا أنكلم حتى رأيتنى مكباً على وجهها أقبلها ، وما خطر لى أنها ستستاء منى ؛ أما هى فبقيت بلا حراك كأنها لم تنتبه الى ما أفعل

فأنتم إلا بلهاء ... وفي الحالين أنتم كاذبون لأنكم أوجدتم من قلب الانسان أساطير ضلال وأوهام . مهلاً ! ! إنني سأدفع بكل ما كتبتم إلى السنة القريب وما كنت أجد من منجد لي في ثورتى غير دموى فأتيقن وأنا أسكبها أن الحقيقة التي لا حقيقة سواها إنما هي الأوجاع والآلام . فأهتف قائلاً : أجيبنى أيها المبقرات المنقسمة على الخير والشر لأعرف إلى أية ناحية أتجه . أقيمى بينك حكماً يفصل في خلافتك فأهتدى من حكمه إلى المنهج السوى وتناوات توراة قديمة كانت على الخوان ففتحتها قائلاً : أجيبنى أنت أيها الكتاب المقدس وامدنى بأحكامك ، فوقع نظرى على الاصحاح التاسع من سفر الجامعة فإذا فيه :

« لأن هذا كله جعلته في قلبى وامتنحت هذا كله . إن الصديقين والحكماء وأعمالهم في يد الله . الانسان لا يعلم حياً ولا بفضاً . الكل أمامهم . الكل على مالاكل ، حادثة واحدة للصديق والشرير ، للصالح وللطاهر والنجس ، للذابح وللذى لا يذبح ، كالصالح الخاطئ ' ؛ الخالف كالذى يخاف الخلف ، هذا أثر كل ما عمل تحت الشمس . إن حادثة واحدة للجميع وأيضاً قلب بنى البشر . لأن من الشر ، والحقافة في قلوبهم وهم أحياء وبعد ذلك يذهبون إلى الأموات »

ما يقول الفلكيون عندما يتنبأون عن مرور مذاب في ساعة معينة ، وهو الكوكب الثامن في الأفلاك ؟ ما يقول علماء الطبيعة عندما يرون حيوانات سابحة في قطرة ماء ؟ أيعتقدون بأنهم هم مخترعو ما يتجلى لهم وأن مرصدهم وبجهودهم بضمان للكون نواويسه ؟

ذات شأن ؛ فوجدت في الصندوق أدوات وأشياء مختلفة بينها عدد من الكتب القديمة علاها الفبار . وكنت إذ ذاك أتأمل فجراً ، قرأت أن أتصفح بعض هذه الكتب ، وأكثرها روايات نشرت في عهد لويس الخامس عشر . ولعل عمى وهى من الصالحات العابدات كانت ورثتها من أقارب لها فاحتفظت بها دون أن تطالعها ، لأن هذه الكتب كانت عبارة عن مجموعة دروس في الغواية والفحشاء أعهد بنفسى ميلاً لا قبل لي برده إلى تحليل جميع ما يقع لي من حوادث سواء أكانت هامة أم نافهة فأطمح دائماً إلى وجود ارتباط بينها فأجىء بتسلسل لها وأنظمها في سلك واحد كعقد لا بد من ضم شتات حباته . ولعلنى ذهات مع الوهم إذ أعتقد بوجود علاقة بين حالى ووصول هذه الكتب ، فاندفعت إلى مطالعتها مبتعاً وفؤادى ينفطر حزناً . وكنت أأجى هذه الصفحات قائلاً : إنك دون سواك تعلمين حقيقة الحياة وتجسرين على القول بأن لا حقيقة إلا بالتمتع باللذات والمراوغة والفساد . كوني لي نعم الصديق وانفضي على جراح نفسى سمومك السكاوية فأعلم منك أن تؤمن بما تعلمين وهكذا بدأت باقتحام المسالك المظلمة مهملاً مطالعة دواوين أحب الشعراء إلى ، فعلا الفبار كل كتاب كنت أجالسه من قبل كأستاذ اتلقن الحقيقة عنه . وكثيراً ما أخذتني سورة الغضب فدست على هذه الكتب بقدى كأننى أنتقم من مؤلفيها فأقول لهم :

— أيها التائهون في الأحلام ، إنكم لا تعلمون الناس غير الألم . إذا كنتم عرفتم الحقيقة فما أنتم إلا منعمو عبارات مخادعون . وإذا كنتم جهلتموها

بصراخ يشبه الأنين فاتبعته بعيني وهو يمرق كالسهم
إلى الأفق البعيد ، ثم صرت فتاة صغيرة في الشارع
وهي تنفي

الفصل الثامن

ومع هذا فقد أثبت نفسي أن تستسلم لحياة
اللهو والاستهتار إذ كنت أتمثلها حالكة مفجعة ،
فقررت أن أحاول اجتنابها ، وهكذا اقتحمت
كثيراً من الآلام ، وساورتني مرهقات الأحلام .
ولولم يكن غير حرارة الشباب ما يحول دون
شفائي لكففتني أوجاعاً وجهاداً . فقد كنت أني
توجهت وبلا عمل شغلت نفسي لا أفكر إلا في
النساء . وإذا نظرت إلى إحداهن شعرت بهزة
أنفص لها انتفاضاً . واسم أفقت من نوى وجسدي
يتصعب عرقاً ، فأترامى على جدران غرفتي بشهيق
مختنق يطلب الهواء !

لقد كان من خير ما أسعدت به وقتها يسعد
الشبان بمثلها ، أنني أسلمت عفتي للحب ؛ غير أن
هذا الحظ قضى على بأن أشرك طوال حياتي كل
شهواني بماطفة الغرام . وذلك ما كان يدفع بي إلى
الهلاك ، فكنت وقد تسلط على التفكير المستمر
بالمرأة لا أملك خيالي من الجوح ليلاً ونهاراً في
مآزق الحب الضلول وفي مهاوى خيانة النساء

امتنع على أن أتصور إمكان الوصال بلا حب ،
فكنت لا أقطع عن التفكير في المرأة قاطع الرجاء
من وجود الحب الصحيح ، فذهبت الآلام في
نفسى مذهبة أورثني شيئاً من الخبل ، فكنت
أشتهي تارة أن أعذب جسدي أسوة بالرهبان
لأमित شهواني ، وتارة أريد أن أندفع إلى الشارع

ما قال في نفسه يا ترى من وضع أول شرعة
للناس عند ما فتش عن حجر يضعه أساساً لبناء
المجتمع فهتف به هاتف من أعماق أحشائه يقول له :
إن الحق للقوة . أمن أوجد العدل هو هذا المشرع
يا ترى ؟ وهل اخترع المار أول رجل اقتطف الثمر
من أرض جاره وأخفاه تحت ردائه متلفناً يميناً
وشمالاً وقد دب الرعب في قلبه ؟ وما قولك في
صاحب الحقل الذي سرقت أعماره فحرم نتاج
جهوده ؟ يلتقي السارق فلا يرفع عليه يداً بل يشمله
بعفوه ويقول له : إليك بما تريد من ثمار حقل ،
فيرد الشر بالخير ثم يرفع رأسه إلى السماء شاعراً
بارتجاف في قلبه وبدموع في عينيه وبخشوع بطوى
ركبتيه . أترى هذا الرجل أول من اخترع فضيلة
المعروف ؟

يا لله ! لقد سمعت أذنأي امرأة تكلمني بالحب
ثم تخونني ، وسمعت أيضاً رجلاً يكلمني عن الصداقة
وهو يشير إلى بالانفاس في حمأة الدنس ، ورأت
عيناي امرأة تستخرط في البكاء ثم تطمع في
مؤاساتي بمضلات ساقها ، وهذه التوراة التي تحمل
اسم الله تردّ على سؤالي قائلة : — (من يدري ؟
وأية أهمية لكل هذه الأمور ؟)

وسارعت إلى غرفتي المفتوحة أنظر إلى الفضاء
الفسيح الباهت في وجومه صارخاً : — أصبح
أن العدم وراءك ؟ أجب أيها الفضاء ، أفليس فيك
شيء سوى الأوهام تدفع بها إلى صدري وقد مدت
إليك ذراعي ؟

وكان الصمت العميق يسود جميع ما تطل
نافذتي عليه
ومرّ طيرٌ بجناحيه السوداوين ذاهباً في الهواء

فرائى وروائح البارود والاصطبل تنبعث من
أثوابى ، فأستر وجهى بلحافى هاتفاً : إليك عني ،
أيها الشبح ... أفأأستريح منك ليلة على الأقل ؟
وما كانت جميع هذه المحاولات لتجدينى نفعاً
لأن العزلة أسلمتنى إلى الطبيعة فقدفتنى الطبيعة
إلى الحب

وعند ما كنت أرتاد قاعات التثريح ، كنت
أرى نفسى محاطاً بالجلث فأمسح يدي بمنزرى
الدماي فيعلو وجهى الاصفرار ، وأشعر بأننى أختنق
من الروائح السكرية المنبعثة من الأشلاء الفاسدة ،
فكنت أعرض عن النظر إليها لأتمثل أمامى الحقول
الخضراء تموج سنابلها ، والمروج يفوح عبيرها
في سكون الغسق ؛ فأقول فى نفسى : إن أجدر فى
العلم سلوى ، فأننى باستغراق فى هذه الطبيعة التى
لا حياة فيها سأموت كمن أنقذ من لجة البحر فلف
بجلد حيوان سلخ حديثاً لاستمادة الحرارة
المفقودة . لقد قضى على بالاً أشقى ، غسبى أن
أموت هناك فى الحقول تحت أشعة الكوكب المنير
وكنت أنطلق على صهوة جوادى قاصداً
متنزهات سحر وشافيل ، فأترجل هنالك لأنظر
على صرح نصير ، أو لأتوه فى واد مقفر ، فما كنت
أسمع من الأدواح والمروج إلا صوتاً واحداً
يقول لى : ماذا أتيت تطلب هنا . . . إنا نرتدى

الحلل الخضراء ، وما الخضرة إلا رمز الآمال
فكنت عندئذ أفزع إلى المدينة لأتوه فى أزقتها
المظلمة فأطاع إلى بصيص الأنوار من نوافذ المساكن
المقفلة على أمرار الأمر وخفائها ، ثم أسرح الطارف
على العربات تلوح وتختفى ، وعلى المارة تردح وتبتدد ،
فأرانى بين كل هذا وحيداً شريداً . أمهد الدخان

أو الحقول أو أى مكان آخر لأنظر على قدمي
أول امرأة أصادفها مقسماً لها أننى أحبها حباً أبدياً
والله يعلم كم حاولت أن أسلو لأنال الشفاء ،
فكان أول ما لجأت إليه انمزالى عن العالم جرياً
مع نفورى من مجتمع رأيت جميع الناس فيه
يشبهون عشيقتي رزيلة وختلاً . فرجعت إلى
ما كنت أهملت من دروسى فتوغلت فى مجاهل
التاريخ واستغرقت مع الشعراء الأقدمين كما عدت
أيضاً إلى درس التثريح

وكان يقطن الدور الرابع من مسكنى شيخ
ألمانى واسع الاطلاع ؛ فألجأته بالرغم من محبته
للوحدة إلى تدريس اللغة الألمانية ، فبدأ عمله
بكل جد وإخلاص ، ولكنه ما لبث أن اصطدم
بفكرى المشتت ، فكان وأنا أجلس إليه تحت
نور مصباحه الضئيل ، يضع كفيه على كتفيه
ويشخص بى متجلداً مندهشاً ، وأنا ساج فى
أحلامى لا أشعر لا بصبره ولا باشفاقه على حالى
وأخيراً قلت له : أنت أطيب الناس قلباً ، ولكننى
أرى اللعب فيما تحاول . دعنى لما قدرلى ، فما أستطيع
أنا ولا تستطيع أنت تبديل هذا المقدور

وما أدرى أأدرك الرجل ما أعنى أم فاته ما ألمح
عنه ؛ غير أنه صالحنى بحماسة ، ولم يمد يده لى
اللغة الألمانية ودرسها

وبدأت أشعر أن العزلة لن تسوقنى إلى الشفاء
بل إلى الهلاك ؛ فتحوأت عنها إلى طريق أخرى
وهجرت المدينة إلى الحقول شاغلاً نفسى بالصيد
متوغلاً فى الغابات أظلمها خبيئاً على ظهر جوادى ،
ومارست المبارزة بالسيف مجهداً نفسى حتى العياء ،
فما كنت أعود المساء إلى مسكنى إلا لأنظر على

ترفع عقيرتك شاكياً لفراغ الحق من شرابه ، وإذا
فرغ الحق في الأقبية من الشراب دنان ، وإذا
فرغت الدنان فالروابي مكسوة بالكروم تمتص
لثملأها . آخذ لك من الكلام المسول صنارة وتقدم
إلى نهر السلوان متصيداً فيه امرأة جميلة تلهو بها
حتى إذا أفانت من يدك لا يفوتك اصطبياد سواها .
تتمتع بالحب الذي تنوق إليه بكل جوارحك ، ولا
تضيع أيام شبابك ، ولو كنت أنا مكانك لكنت
اختطفت ملائكة بدلاً من التاهي بدرس التفریح .
هذه النصائح التي كنت أسمعها في كل حين ، وعند
ما كان يحين زمن الرقاد كنت أتلغ بردأى وقابلي
يكاد يتفجر ألماً ؛ فأهرع إلى سريري لأجثو أمامه
باكياً مصلياً ضارباً على هذا القلب كما كان غاليه
يضرب الأرض قائلاً : ومع هذا فأنها تتحرك ...
(يتبع) فليكس فارس

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرأتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

التمن ١٢ قرشاً

يتصاعد حزيننا من السطوح وأشعر بالآلام تجول
في هذه الأزقة اللاتوية حيث بترأ كض الناس وقد
كلهم عرق الجهود وبيلامس الألوف دون أن يعرف
أحدهم الآخر . فما السبيل العام إلا مزاج تتعارف
فيه الأجسام ونقنا كره عليه الأرواح ، هنالك لا تمد
للغريب يد إلا يد بنات الموابير

إن ما نهتف به المدن إنما هو قولها : — هيا
إلى الفساد . . . هيا إلى الفواحش ، فما يسكن
الآلام سواها

ذلك ما نقوله المدن وما يقرأه المسارعة مكتوباً
بالفحم على جدرانها ، وبالأوحال على أرضفتها ، وبالدم
المتجمد في عروق الأوجه الشاحبة

و كنت أجلس أحياناً على مقعد منفرد في
قاعات المرافص فأنظر إلى النساء يتمايلن بأثوابهن
الجمراء والزرقاء والبيضاء وقد عمرن المعاصم وضفرن
الشعور كأنهن الحور يسكرهن النور في أجواء
التناسق والجمال ، فكنت أقول في نفسي : —
ما أروع هذه الزهرات تغتطف وتستنشق ! وما
ستكون كلمة هذه الأقحوانات الأخيرة إذا ما نثرت
وريقاتها واحدة واحدة لتستنطقها سرها . أنها
لتقول لك — قليلاً ثم قليلاً ، ثم لا أحبك حتى
ولو قليلاً

تلك هي حقيقة العالم ، تلك هي نهاية
ابتساماتك ، أيتها الأزهار

على هذا الشفير الروح تمايلن بأوشحتكن
الزيفة بالأزهار ، أيتها الراقصات وعلى هذه الحقيقة
الشناء تمايلن كالمها على رؤوس أرجلكن الصغيرات
وكان دبحته لا يفتأ يقول لي : — والله ما رأيت
سواك من ينظر بجد إلى كل هذه الأمور . إنك

لولا أن نثرت العروس فوقنا طيباً عبقاً ، لأخيا شيعتنا
وأنتقدنا من صلول^(١) تلك الجلود .

وتلبثنا نرقب البحر حتى برزت عجول البحر
فنامت في الجون ، ثم كانت الظهيرة فبرز بروتبوس
وطفق يمد قطعانه ، مبتدئاً ، لغفلة ، بنا ، وكأن
أثمارة من الشك لم تخامره في حالنا ، فانطرح ونام .
وانهزنا الفرسة ، فانطلقنا نمدو إليه ، وقبضنا عليه ،
وشددنا وثاقه بحيث لا يستطيع إفلاناً ... يا عجباً !
لقد انتفض انتفاضة هائلة ، فإذا هو أسد غضنفر
ذو لبدة ، ثم انتفض فإذا هو أفموان أرقم يتجوى
ويتجوى ، ثم انتفض فصار نمرأ رائماً ذا أنياب ، ثم
صار خنزيراً برياً ، فسيلاً رابياً ذا عباب ، فأبكة
باسقة ذات غصون وأفنان ! : ولما لم يجد بداً من
أن يبدو لنا على حقيقته ، انتفض فكان على صورته
الأولى ، ثم قال : « عمرك الله يا ابن أربوس أى
إله جبار حبسك في مياها وساطك على ، تمسك
بى وتشد وثاقى ؟ ماذا تريد ؟ » فقلت له : « حبسك
يارب هذا البحر ، إنك كنت بى عليماً ! لقد طال
مقامنا بهذه الجزيرة ، ولست أدري أى إله عادل
حبسنا فيها ، ولأى شئ ؟ » . وقال بروتبوس :
« وبك يا منالايوس ! لم لم تصل لسيد الأولمب ثم
تضح الآلهة يوم غادرت (طروادة) ؟ لقد غضب
الجميع عليك فكتبوا أن تضل في تيه هذا
البحر حتى تكون تلقاء مصر ، فتقيم ثمة حتى
يثوب اليك رشك وتصلى للآلهة خاشعاً خائباً
متصدعاً ، ثم تذبح القرابين وتجزر الأضحيان فتعود
الى أوطانك ! » وعمرانى مما ذكر ما عمرانى ،
فقلت له : « الحمد لك أيها الاله القدوس ... »

(١) أروح اللحم صار نذاً وصلوله رائحته المنتنة .



الأولاد نيسبر

لهروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

(تابع)

ثم غابت عروس البحر في طيات النسيج ،
وتركتنى في حيرة مما ذكرت ، ثم إنى عدت إلى
قرقى في السفينة ، وعاد كل إلى قرته ، وبعد أن
تمشينا ، وكان الليل قد أرخى سدوله ، نمنا نوماً
لا آمناً ولا قريراً ... وبرزت أورورا تموه المشرق
بأصباغ الورد ، فهضت أصلى للآلهة فوق السييف
الممتد ، وأبتهل إلى السماء أن توفقنا لمسافيه خيرنا
ثم انتنيت فتخيرت من رجالى ثلاثة هم أصاحهم
لهذا الأمر ، وهم موضع ثقى ومعه درجائى .
وبرزت من الماء عروس الماء ، وأحضرت
لنا أربعة جلود من جلود عجول البحر لتلبسها ،
ونستخفى بها ، واتم الخدعة على أيها . وأعدت
لنا مهاداً في رمل الشاطئ . ثم دلفنا نحوها ، ونام
كل في مهده ، وألقت فوقنا مامعها من الجلود
المنتنة التى أروحت حتى كدنا نختنق برائحتها ،

رجلاى ، وانطرحت ألقاب فى الرمال من الغم ،
وأذرف الدمع من الحرقه على أختى . ولكنه خاطبني
قائلاً : « إنهم يا ابن أتريوس . إنك تبكى ولات
حين بكاء .. هلم فعد إلى وطنك لترى بعينيك قبره
واتشهد ابنه العظيم أوردست ينتقم له ، ويستأصل
شأفة قاتليه . »

وكأنما مرى عنى بما قال بعد ، فنهضت وساءلته
بعد أن شكرته على ما أنبأنى : « .. إذن من هذا
البطل الثالث الذى ما يفتأ يذرع البحر ضالاً فى
رحابه ؟ »

فقال : « ذاك ابن ليريس ، وسيد إيثاكا
(أوديسيوس) ! لقد شهدته بعينى حبساً فى جزيرة
عروس المساء كاليسو ... لقد حل عليها ضيفاً
برغمه ، فاقد تحطمت سفائنه ، وهوبته عروس
الماء ، وهو ما يزال عندها لا يجد مركباً يحمله إلى
وطنه ... أما أنت ... أيها الملك منالايوس ،
فطوبى لك ! إنك ستتحيا سعيداً ، ثم تنتقل إلى دار
الخلد ونعيم لا يفنى ... ودار الفردوس نزلأ ...
حيث لا برد ولا زهرير ، ولا يوم عبوس قطير ،
بل تسقى ، ومن معك من الأناسى من ماء معين ،
لا لغو فيه ولا تأثيم ... مقام كريم وجنة نعيم ،
وغادتك الحُسَّان هيلين ، يا ذرية زيوس العظيم :
ثم غاص فى اليم ، وعدت ورجالى إلى الفلك ،
وفى القلب لوعة ، وبالنفس أسى . وتباغ كل إقامات
ثم أسلمنا عيوننا للسكرى ، وكأنما نام أسطولنا فى
ظلام الشاطئ . »

وانباجت أورورا فنضرت بالورد جبين
المشرق ، وهبت أنفاس الصباح المنسداة فأهرعنا

سأفعل ، سأفعل كل ما تأمرنى به ، ولكن قل لى
بحق ربوبيتك ، هل وصل كل رجالنا إلى أوطانهم
سالمين كما تركتهم أنا وصاحبى نسطور عند طروادة
أم أن منهم من غرق أو قتل أو مات حتف أنفه ؟
وكانما ضاق بى ، ولكنه قال : « ويك يا ابن
أتريوس ما هذه الأسئلة ! أتبتنى أن تقف على كل
أمرارى ؟ إذن فاعلم أن أكثر رجالك قد عادوا
سالمين إلى أوطانهم ، وأن قليلاً منهم من مات ومن
هؤلاء قائدان فقط قد قضيا ، وما يزال واحد يذرع
رحب هذا البحر ، ضالاً على غير هدى ... لقد
هلك أجاكس بما تحدى الآلهة ، وبما ادعى أنه
ناج برغم السماء من البحر اللجى الذى كان يناوح
سفيفته ، فبرز نيتيون غاضباً وشطر السفينة نصفين
بضربة قاضية ، من رعه السمهرى ذى الثلاث
شعب ، ثم رطم حطامها بمد ذلك فوق صخرة
جيرييه ... مسكين أجاكس لقد غص بالأجاج ،
وشرق بقطرات فوات ... أما أخوك^(١) فقد نجا !
لقد دفعته موجة هائلة فوق شاطئ (ماليا) ...
أرض ذيستيس وإيجستوس .. ومن ثمة ركب
البحر إلى وطنه آمناً . ألا كم كان أخوك رائماً حين
وطىء أرض الوطن فراح يقبل رمالها ويناجى
كشبانها ! ألا ليته مانجا ! لقد لمح أحد الأوغاد من
جواسيس إيجستوس فانطلق يخبر سيده الذى أعد
كميناً من عشرين رجلاً من أفسق رجاله حيث اغتالوه
كما يذبح العجل ؟ الأوشاب الفجرة ! لقد باءوا بما
صنعوا ، وأبيدوا على بكرة أبيهم ... »

وما يكاد يصمقنى هذا الخبر حتى خذلتنى

(١) أجاممنون الذى نجا من الفرق ثم ما كاد يبلغ
قصره حتى قتلته زوجته وعشيقتها إيجستوس

تفضل جبينه ، وانتشرت على أساريه سمحابة
كثيية فقال :

« أريت إذا أعطيت سفيني لفتى تملك فاني
أريد أن أبحر إلى إيليس لأرى أفراساً لي اثنتي
عشرة ما زال ترضع أفلاها (١) متى يرجع من
يلوس يا أنتينوس ؟ »

وروع الرجلان لهذا الخبر ، فلم يكن أحد يعلم
أن تملك قد غادر إيثاكا ، بل كانوا يظنون أنه يجترأ لآله
وأحزانه في أحد الأدغال النامية في مزارعه . قل
أنتينوس :

« أحقاً أنه أبحر يا نومون ؟ وهل صحبه أحد
من ذويه ؟ وعلى سفينتك ؟ سفينتك أنت ؟ وهلي
أبحر عليها بدون إذن منك ، أم أنت الذي أذنت
له بها أول ما طلبها منك ؟ »

وأجابه نومون : « بل أبحر عليها باذني . وماذا
عساك كنت صانعاً لو سألك أمير في مثل بأسائه
أن يبحر على سفينتك ؟ أكنت ترفض وتتأني ؟
لقد أبحرت معه ثلة من أشجع البحارين ، كلهم
فينان العود ، غريبض الشباب ، وقد رأيت معه
أمير البحر منتور . ألا كم كان يبدو منتور بهياً
وقوراً رائماً ! تالله لقد خلته — بل أكبر ظني أنه
— أحد الآلهة ! وكيف لا يكون إلهها وقد رأيته

بمعيني هاتين صباح أمس وهو قد أبحر إلى ييلوس
قبيل ذلك ، فأنى عاد ؟

وفرغ نومون ، وعاد أدراجه إلى دار أبيه ،
واستولى الدهول على الرجلين ، وكان المشاق قد
فرغوا مما أخذوا فيه من لهو ولعب ، وجلسوا
يستريحون من التعب ، فيهم شطرم أنتينوس ،

(١) الفلو ولد الفرس لم يبلغ عاماً

جميعاً ، وجزرنا الأضاحي باسم الآلهة وصلينا لها
خابتين ، وأقت لأخي رمساً فوق ترى مصر الخالدة ،
ثم هبت الريح رخاءً فنشرنا الشراع وأصلحنا
القلوع ، وأقلعنا من فورنا إلى أرض الوطن ،
فبلغنا هيلاس سالمين

وبعد ! فلنقم معنا ههنا أياماً تفرح وتفرح ،
ونسعد نحن بك يا ابن أعز الأصدقاء ، ثم لنعد لك
الهدايا والهي التي تليق بك ، ولنعد إلى وطنك على
عربة فاخرة تجرها ثلاثة من الصافنات الجياد ؛
ولنزودك بكأس ذهبية تصب منها قرايين الخمر
للآلهة فتذكرنا أبداً »

وشكر تملك واعتذر ، وأبدى من الحنين إلى
وطنه ، وما عليه من واجبات ، وما ينبغي من عودة
إلى ملك ييلوس ، ما برر عنده أن يستأذن في
الأوبة ... فأعذره ملك أسبرطة ، وأهدى إليه
كأس فيديموس الفضية ، ذات الشفة الذهبية ،
الكأس الخالدة التي صنعها الآلهة فلكان بيديه
لينفخ بها ملك سيدونيا

وهياً النذل مقصفاً فاخراً به جزور وخمر ،
وأقبلت أزواجهن يحمان الخبز ، فأكل الملك ومن
معه ورووا

هذا ما كان من أمر تملك ومنالايوس
أما ما كان من أمر العشاق آنشد ، فقد كانوا
يلعبون ويعرحون في بيت ملك إيثاكا ، يلعبون
الأسنة ، ويقذفون القرص ، ويتصارعون
ويعزحون . كانوا جميعاً يأخذون في هذا اللولتزية
الوقت ، إلا أنتينوس ويوريماك ، فقد جلسا بمزمل
بتحادثان . إذ أقبل الفتى نومون بن فرنيوس وقد

أديت نمتا لذلك روجي ! ولكن ... هيا ... لتمض
دليون - خادمتي الوفية ذات التجارب - إلى
ليريتس - فلتحدثه عما تكسر الذئاب - وى !
لم يبق إلا أن يقتلوا ولدى وسایل أوديسيوس !
ونهبضت يوريكيا مريض تليماك ، تنثر دموعها
وتقول :

« واأسفاه على أيها الملكة ! سأعترف بما
كان ولك أن تقملي ... أو تبقى على ! لقد زودت
الأمير بكل ما أمر من زاد وخر ، وأخذ على موثقاً
ألا أبوح بسر حتى تمضي اثنا عشر يوماً بتمامها ...
حتى أنت يا مولاتي ! لقد أمرني ألا أعلمك بشيء
اهدني يا مولاتي ولا تضاعفي أحزان القصر بحزن
جديد ، وامضي الى مخدعك فاستريحي نمة ، ولنصل
جميعاً لربة العدالة مينرفا - باللا الطيبة - أن
تصون مولاي الأمير وترعاه ، وتكلاؤه من كل خطر
وليمد الى عرش آبائه ليحكم ويعدل ويدير شؤون
البلاد .

ورقاً الدمع في عيون الحاشية ، ونهبضت بنلوب
فصعدت الى الطابق العلوي ، وأمرت بسلة من
الكعك فنفخت بها المذارى قرباناً لمينرفا وتقديمه ،
ثم أرسلت هذه الصلاة :

« إسمي يا ابنة سيد الأواب ! يا مينرفا العادلة !
باسم ما ذبح لك أوديسيوس في هذا القصر وما ضحى
نضرع اليك ونتوسل بك ونصلي لك ، أن تصوني
ابنه الأمير وأن ترسلي عبوسة من شواظ غضبك
على أعدائه ... أولئك الأضياف الظالمين ... آمين »
وانهمرت الدموع من عيني الملكة فاستجابات
مينرفا صلاتها . ثم علا ضجيج القوم وارتفع صخبهم ،
وكان فيهم شاب نزع الثأث في أذنيه صلاة بنلوب
خسبها أشرفت تناغي وتغازل ، فراح يعرض بها

وهو يتميز من الغيظ ، وينقدح الشرر من مقلتيه ،
فقال :

« يا أرباب السماء ! أفيقوا أيها ارفاق ! عمل
باهر ! باهر جداً ! لقد أبحر الفتى تليماك في عصابة
من شباب الملاحين ليؤلب عليكم العالمين ، ويرسل
علينا حساباً ! ! الويل له ! أعمدوا الى مركبا
وعشرين فارساً من أبسل صناديدكم لأخفاه بين
أواذي ساموس وتثوء إيتساكا التاعس الذي
ذهب يستروح أخبار أبيه ليمسى الى حتفه بظلمه »
وتحمس المساء وعلاه هتافهم ، وهروا الى
الرجبة الداخلية في بيت أوديسيوس يتآمرون ،
وكان على مقربة منهم الأمين ميدون ، الذي انطلق
بدووه ينقل ما عقدوا خناصرهم عليه من إفك الى
الملكة الباكية الفتوذة ... بنلوب - وما كاد
يقص عليها ما اعترموه من قتل تليماك حتى تضعضعت
وتخاذلت ومادت من تحتها الأرض ، وتحبست
أنفاسها هنيئة ، ثم سألت ميدون فيم أبحر ولدها .
« ألكي ينقرض اسمه من صفحة الوجود ؟ » وأجابها
الرجل : إنه ذهب يتسمع الأنباء عن أبيه . ثم
ذهب لطيبته ، وجلست الملكة المرزاة لدى
الوصيد تبكي وتنتحب ، ومن حولها الغيد الرعايب
والمعجوز الشمطاء من خدامات القصر ، يعملون
ويكفكفون ...

قالت الملكة : « ويح لي أيها المذارى ! أبدأ
ما أحسب واحدة من النساء قد لقيت بمض الذي
لقيت مما كتبه على السماء ! لقد فقدت زوجي ،
أسد هيلاس الكريم أوديسيوس الأمير الخلاق
رجل الفضائل والمروءات ! ثم لم يبق إلا أن يرحل
عني ولدى ... دون أن أعلم أمر رحيله من
إحدا كن ، فكنت أحول بينه وبين ما اعترم ولو

وتكسرت النصال على النصال ... لقد فقدت زوجي ... أسد هيلاس ونخر أرجوس ، وعزى الأبدى ! ثم ها أنا ذى انتفض فرقا على ولدى ... ولدى الطرى الفينان ، الذى لا قدرة له ولا احتمال ... فى هذا البحر اللجى ... لقد أفلعت به سفينة كأنها تسبح فى بحر من دى وأحزاني ! وها قد تمعبه الأشرار فى سفينة أخرى يريدون غيلته قبل أن يترد إلى وطنه !

ونجيهها مينرقا : « لا عليك يا ملكة ، ولا عليه هو الآخر ! إن معه راعيا يحفظه ويوقيه ... راعيا يتمنى الجميع أن يكونوا فى رعايته أبدا ... مينرقا ! إنها أيضا تبشرك وترفه عنك ، وأنا هنا رسولها إليك ، أقبلت بأمرها أواسيك ! »

وهلمت بنلوب ثم قالت : « وى ! أما إنك إذن لربة وقد كلمتك الأرباب ... ألا أقضى على إذن ما كان من أمر رجلى ! أما يزال حيا يرزق ؟ أم تحطفته يد المنون ؟ »

وتضاحك الشبح العابس فقال : « لا ! ليس الآن ! ان أذكر لك إذا كان رجلك ما يزال حيا أو إنه قد قضى ، مالنا ولذلك ؟ »

ثم رفت فى ظلام الغرفة ، وصعدت فى سماء الأحلام

ونهبضت الأم وقد سرى عنها بهذا الحلم ، وأنجاب كابوس الهم الذى كان يثقل على قلبها

وأقلع العشاق بفلكهم فى اليم المضطرب ، كل تحمده نفسه بمقتل تايماخوس ، حتى كانوا عند برزخ أستريس ، بين ساموس وإيثاكا ... فأرسوا ثمة يتربصون

دربنى ضنب

(يتبع)

فى كلمات قوارص ، قطعها عليه أنتينوس بتحذيره القوم ، ونصيحته لهم أن يستمعوا على حزم أصمهم بالسكتمان .

وتخير أنتينوس عشرين من خيرة رجاله ، وعم بهم شطر البحر ، ثم ركبوا فى سفينة أعدت لما اعزموه من تلصص وفرصنة وفتك إعدادا كافيا فذلت إليها الأساحه ، وُحمت إليها حال الزاد والذخيرة ... وأفلعت ، لا باسم الآلهة مجراها ... ولا سلكت سبيل الرشاد .

واضطجعت بنلوب فى فراش حشوه فكر وهم ، وجاشت فى قلبها الوسائوس ، وطفقت الأوهام تفتك برأسها القلبى الحيران بسبب ولدها ، وما دبر له الكلاب وما كادوا ، مسكين أيها الأسد ! لولا قوتك وجبروتك ما أكثر صائدوك حولك الأحابيل .

وأخذتها سنة من النوم ، فأقبلت مينرقا الكريمة فى رؤيا عجيبة تواسيها وتذهب عنها ذلك الطائف الحزن ، فتزيت بزي الأميرة المفتان ، إفتيا ، ابنة البطل الكبير إيكاريوس ، ثم وقفت عند رأسها ، وشرعت ترسل هذه الأحلام :

« أهكذا تنامين ملء عينيك الجيلتين يا بنلوب العزيزة ؟ ليفرخ روعك ، وليصف بالك ، فالسماء ترعى ولدك ، وهو عائد إليك عما قريب ! إنه لم يقترب شيئا مما يغضب الآلهة ، ولذا فهى تكاؤه وترعاه وتحفظه ، فقرى عينا واسلمى وانعمى ! »

وتقول بنلوب إذ هى تحلم :
« من ؟ إفتيا ؟ عجبا ! فيم قدمت يا أختاه وقد ندر أن كنت تلين بهذا القصر ؟ ألتواسينى وتسلينى ؟ لقد تكاثرت الأحزان على قلبى ،

النهار يفصل قليلا
بين المحبين العاشقين
ولكنى ، يا إيزابيلا ،
لن أغادرك أبداً
(تنف قليلا ، ويكون
هناك سكون يفصل بين
النفسين ، وكأن باريس
يفكر ويذكر وينسى الماضي)
وداعاً يا إيزابيلا !
إن ربح مصر تصفر ،

سِرُّ الْجِلِّ لِهَوْلِكْ

مسرحية شعرية — في أربعة فصول

للساعر الفرنسي سورين رستان

بتم الامتاز خليل هندأوى

المشهد الخامس من الفصل الثاني

إيزابيلا ، باريس ، أرجانتى ، مارسيللوس
(تدينو إيزابيلا من باريس ، تراه وتقول بصوت
متقطع غريب اللهجة)

إيزابيلا — « يا حبيبتي ! ها قد هبط الليل

على روما

ورداء أزرق الحواشي قد انبسط على الأعلى

لا أرى إلا السماء ، ولا ألمح أحداً

ولا أفكر إلا فيك ، لأننى لا أهوى سواك

كنت — يا حبيبتي — هذا المساء شمعة

الروح التاججة في المسرح

ألا عطفاً لألسانك التى جمعت شعباً كاملاً

يفهمنى

ولكنى لا أهوى منك شهرتك ، ولا مجدك

ولا فنك ...

وإنما أهواك أنت يا إيزابيلا !

أنت حبي الأكبر وكل وجودى يهتز لك ...

كل كيانى هنالك ...

هذه الليلة ذاتها ، كنت أود أن أقول لك قبل

متووع النهار

شكراً لأنى أدركت حلمى الذى يرتعش

سأرحل ! وحين أرحل وانتهى إلى أطراف

الوجود يستحيل بيننا اللقاء يا إيزابيلا »

باريس — (متأثراً) ما هذا أيتها السيدة ؟

إيزابيلا — (بفرابة وبرود)

وهاها كتابان منك ، أحدهما فى بدء حبنا

والآخر فى انتهاء فليس معنى المرأة — يا باريس —

إلا أن تتذكر حين يتنامى الرجل

باريس — (تحيط به الذكريات)

إيزابيلا — إلهى — المسرح — أوروبا —

ها أنت تنظرين ، إننى أحيى وحدى ، وفى بعض

أحيانى أخوض الصحراء راكباً ، أو أطوف فى

النيل على زورق

(ينظر إليها طويلاً)

وأجل من هذا ألا أفوه بكلمة ...

إيزابيلا — وأنت فى شعرك عدو الصمت

باريس — من أين جئت ؟

إيزابيلا — جئت من فرنسا حيث مثلت

مسرحية « فيدر »

باريس — أتمثلين دائماً ؟

بكل هذه العبرات الالهية ، وإذا كان حقاً أن
— هنالك — كل آثارك الآتية ، فلتبك عيناي
دون وخز في هذا الهواء ، ولننعم — إلى الأبد —
بدموعها القلقة هذا الأثناء حيث يهلم فيه حظ
شاعر .

ارجانتى — وواحبك نحو عالم غيور ، فانت
لم تعد لفنك ، وإنما لنا ! قلب الشاعر العظيم هو
يقظتنا وهو — حين يصمت — يقهرنا .

پاریس — فكروا فيما يروكم !
إزاييلا — لاحق له في ذلك ، لقد احتملنا
منه تلك الحركة حين قذف بقطعة على الملائكة . . .
ومن ذلك الحين ولى هارياً ، ولكننا نريد أن نفكر
في عودته إلينا

پاریس — لم يعد الفن من الكبير ما يتسع
لأسراري .

إزاييلا — ألا تعرض بعد اليوم عبقرتك
على الناس ؟

پاریس — (يضرب على صدره) يكفيني في الليل
أن أعلم أنه — هنالك — يزجر !

إزاييلا — وإذا لم يعد يزجر ؟ هل تعلم ماذا
يقولون ؟

پاریس — (بخفية) أنني هريم بلا شك ،
وعمرى ثلاثون .

إزاييلا — ويقولون : إنك في جذوة اللب
أصبحت شمعة خامدة ، وإنك بت تخشى الجمهور ،
وإن القطعة التي صفت بها الشعب لم تتم في الحقيقة ،
ولكنك أردت إخفاء نزعها بما عمت ، هل أنت
تارك سوقاً مثل هذه الشائعات ؟

پاریس — ما يهمنى ذلك ؟

إزاييلا — المسرح هو كل شيء ، فإذا هجرته
أموت سأمًا ، إننى فقيرة الى أن أطرح هذه
الأضواء العميقة كحصن بينى وبين الناس
أرجانتى — انتصاراتها الأخيرة سودت وجوه
الأولين . آه لو تراها في مسرحية « الفينيقين »
أو في « تاجر البندقية » !

إزاييلا — نسيت « هيلين » حيث كنت
أتناول بأناملى أجل أ كاليل الغار ، حقاً لقد مثلتها
أكثر من المرات السابقة

پاریس — عن أية هيلين تتكلمين ؟

إزاييلا — عن « هيلينك »

پاریس — أعن « هيلينى » ؟ بلى ذكرت :
فهل اسمى في الفضاء بنادى اسمها ؟ هيلين . وبأى
حق جرى يسمح لى بأن أفتح جفنيها . هيلين ؛
إننى أ كذب ككل انسان ، هذا ضلال ، إننى لم
أذرف دموعاً على قبرها

إزاييلا — البكاء باطل حين تتذكر العبقرية .

پاریس — الأثر الخالد هو دموع حية .

إزاييلا — إن حاضرك ليغار من انتصاراتك
المولية ؛ بلزنا الآن قطعة جديدة منك ، وروما
لا تزال تريد أن يخفق فؤادها لانتصاراتك .
أرجانتى — كذلك .

پاریس — هات إنائى يا مارسيللوس !

مارسيللوس — (يتناول مارسيللوس إناء ويعطيه
إزاييلا) .

وهذا ما سلم من النار ؛ ولهذا ترين هذا الأثناء
مصبوباً على هيئة قلب .

إزاييلا — (تأخذ الكأس بيديها ، وترفعه حتى
شفتيها بخشوع اليأس والحب)

الأثناء التي كانت تحملها « أرملة يومبي » لم يتبلل

هذه الطبيعة دون أن تجرئ على النظر إلى وجهه .
إيزابيلا — باريس !

باريس — انظريه ؟ أريد أن تتعرفى إليه .
أيتها السيدة إنه أبو الهول ، ويا أيها السيد
— مدير مسرح أوروبا — ارفع قبعتك جلالاً ،
هذا هو الأوجد الكبير الذى يلتحف كل الأبدية ،
يحيط به حشم غير منظورين هم القرون الانسانية
يجثون أمامه ، قبعته الحجرية مبللة بالندى ، هي قبعة
قيصر أو قبعة الأهرام ؛ والآن أفيكم جرأة على
تحديثي عن العبقريّة وعن اندادى وعن المشاهد ؟
ألا فاحشوا أبا الهول أن يهز الأرض ضاحكاً في حالة
من حالات هذيانه !

إيزابيلا — إنك لتسخر باطلاً ! هل بإمكانك
أن تصرف الناس عن لومهم لك بأنك انتهيت !
يا باريس ! ماذا يهمنا أبو الهول ؟ هذا المارد المعلق
الذى يقف على هذه المدينة المائتة ؟ والذى نريده
بقلب غيور هو أبو الهول الآخر ؛ أبو الهول الذى
كان لا يحيا إلا بك ، لأن مدينته كاملة تقول بأنه
غير موجود ؛ ولأن هذه الضوضاء الباطلة لبثت في
جميع روما ، فأثبت لها بأنها مخطئة ؛ وهي تظن
أنها لم تكن إلا طليمة مهملة فأثبت لها بأنها مخطئة !
اسمع لى يا باريس وأنصت لى ! إن المدينة ذات
التلال السبعة تود أيضاً — في عصرها المنحط —
أن تحمل أثرك كياقوتة ثمينة ...

باريس — (هازأً كنفه)

أنكرت « أبا الهول » ماذا كنت تفكرين فيه ؟

إيزابيلا — ولكن ...

باريس — أجل ! ماذا كنت تفكرين فيه !

إيزابيلا — (منفضية الطرف)

كان أجل آثارك

إيزابيلا — أو تارك اسمك يغيب في الليل !
وكوكبك بنطفى في اللحظة التى أخذ يلمع فيها ،
إن الخطأ الوحيد الذى يرتكب حيال المجد
والحب هو الاعتزال ؛ إنهم — ولا ريب — قد
تكلموا كثيراً عنك في الشهور الأخيرة وعن
مسرحيتك « أبى الهول » ، ولكن الصمت اليوم
يخيم على الجميع ، وهذا « سير ماران » مقعم غبطة
وهنا لتفوقه عليك ، وحين تبتمد العبقريّة يحل
الاكتساب محلها .

باريس ! ليس هذا بحق ولا يمكن أن يكون
حقاً ، إن هذه الجهة التى يكلمها النور الذهبى ؛
والتي يتوجها الغار ، هذه الجهة ، لا ترضى بأن
يسلمها تاجها رجل أقل شأنًا ، لا يجدر بك أن
تقنع بهذا النسيان المهنى ؛ وحين لا يناضل الانسان
فمنى ذلك أن أراه انتهى ؛ فهل تركهم يفكرون
بأنك هذا الانسان ؟ وهل تترك الشمب العاجل
يتخذ شاعراً غيرك ؟

باريس — إذا كان هذا هو المجد ؛ وإذا كنت
تقولين حقاً فالأجدران يراه من بعيد لا من قريب ؛
إذا كان هذا هو المجد — يا أوروبا ! — فاني أوثر
هذا الليل الأزرق في أفريقيا حيث اقتفيت أثر أخى ،
وهذه المشاهد التى لا تنتهى ، وهذا الهواء المترشح
بشذاك العظيم .

أنظري ! يا للرقّة ! فضاء خالٍ من هتاف
الاستحسان ، ووجوه المصورين ، وفي المساء حيث
يرقد أبو الهول ؛ رجلاه في التراب وجبينه في السماء ،
هل لمحته يتشمع تحت لألاء القمر .

أجل ! لقد جئت بقودك الجزع ، عارفة في
الحقيقة من أنا ؛ جئت تتكلمين لى عن أدوار
وعن استحسان ، وهنا ، هنا في هذا البلد ، وإزاء

وجوه الرجال ، وإذا كان الشمر يثير الكون
فذا لأن الشمر هو حب أيضاً .

باريس — لنجتنب الكلام عن الحب .

إيزابيلا — هذه المدينة التي تقدسك ، المدينة
التي ما زلت أراها بمدحى عنها ، أما تنبأت أنت
بما يحتمل قلبي ؟ قبلاتي كانت أتم آثارك ، وعبثاً
تمن في الفرار منها لاجئاً إلى هذه الأهرام ، إن
هذه المصافير المبللة تعود إليك ؛ تعال فإن ظل
الشمس بدأ يحيا ، تعال نحيا ، تعال نتألم ، تعال
نبدع ، تعال إلى الحب .

باريس — لا أريد ... لا لا ...

إيزابيلا — إن هنالك أشياء تخفق في صدري ،
أنصت لي فأنتي أمثل كل بطلانك ، كل من تود
ومن تريد ، إن دم « إيزولت » هو هنا يجري في
ذراعي ، وهيلين أعارتني صوتها الرنان ، وعندى
عيننا « بيرينس » لأعبدك .

تعال ، تعال ! إني كصحيفة من رخام مهجور
فقيرة إلى من يترك قلبي يخفق من أجله ، فقيرة إلى
أن أحس في حاتي الجأمة أشعارك المظيمة المتوقدة
تنبت في كالجزر في اليم .

فكر ، لم يعد لي حياة ، اسمع لي ! أعد علي
قلبي الخفاق ؛ وصوتي المنطلق ؛ اني أحضر وشحوبى
هو الدليل ؛ أعد لي قبلاتك ورواياتك .

باريس — (واضعاً يديه على جبينه) إننى جاهل
آهى ! هذا الصوت

إيزابيلا — هذه عبقرية تتكلم في أعماق
نفسى .

باريس — ما تذوقت أبداً هاتين الشفتين
المهجتين .

باريس — وماذا يهمك بعد هذا ذلك الصباح
وتلك الأعمال ؟ يكفيك أن أترأ جيلاً خلاق ...

إيزابيلا — ألا شئ بعده ؟

باريس — لا شئ .

إيزابيلا — (بصوت منخفض) (إلى ارجانتى
ومارسيللوس)

دعانا الآن وحدنا ! بنبنى ذلك ، إن كايوباطرة
أضاعت ممالكها ، أما أنا فأريد أن أنقذ ممالك ...
(ينسحب ارجانتى ومارسيللوس ، وتنفرد إيزابيلا
بباريس ، وكان الليل يهبط رويداً رويداً)

المشهد السادس

باريس — أقول لك معاوداً مؤكداً بألا شئ
أقوله لك .

إيزابيلا — (تدنو منه برقة وهوى)

ولكنه يجب ذلك ؛ كيف تأباني حين أكلك
بامم قبلتنا ؟ « لا المجد ولا الفن » كتابك الأول
في قلبي وفي ذاكرتى ، ووجودى كله كان يهتز لهذا
القسم الغيور ! لماذا لم تأت بي معك إلى هنا ؟ إننى
لأسمع عن تقلباتك وعن عتوك ، ولا أسمع عن
غيابك ، وتريدنى ألا أتألم منك حين أسمع وقع
قدميك .

باريس — قد كان يجب على ؛ إذ كان يصعد
إلى — من أعماق نفسه — نداء أكبر من الذى
أجبه .

إيزابيلا — أى نداء ؛ بقرب أى نداء يتلاشى
هذا النداء ؟

باريس — أصبح الحب أصغر من أن يحيط
بأسرارى .

إيزابيلا — صه ! لا شئ أكبر من الحب ؛
عند ما يذكر على اللسان يظهر شحوب الموت على

ماذا ؟ قلت : الشيخوخة ؟ ويقول : — هذا البلد ، بلد الشمس والرمال والشقاء ! هذا البلد — وهو في حالة يأسه — يريد أن يحيط حبنا الجديد بوسائل زينته القديمة لا نتمام عن هذه الليلة الجذابة الفتاة ، أنصت الى أصوات هؤلاء النسوة ينشدن بعيداً تقول أغانيهن : الحب ! وتردد الصحراء : الحب ! ويرجع الليل العميق ، والبحر : الحب ! ويقول أبو الهول الجاثم على هاوية الرمال ، المسترسل للحلم استرسالاً أبدياً : الحب ! نعم ! كل شيء يمضي ، وكل شيء كضباب زاحف على القمم . ولذلك ينبغي أن نحب بدون انتهاء ! فلنحب ...

إننا سنتلاشى في الليل الذي يقترب منا كهذه القطمان التي نعد أجرامها ، لنحب إذاً : لنحب حباً لا يفنى ولا يبيد ، وكل من لا يحب يقضى حياته سُدًى . وليشهد على حبنا هذا العملاق الراسي ذو الجناحين ، وليشهد على حبنا الفنى هيكله الأبدى .

باريس — (مرتمداً مضطرباً متأثراً) .

وأنا سالخ نفسي عن هذه الصحراء العميقة إذا انتزعني أيتها الآلهة البشرية ، إذا ... ولكن مادام الأمل يلمع في ناظرك الأزرق فأنا أقبل تجديد الصراع والمسرح ، وإذا ما نفيت ذلك عن نفسي فأى أثر أمنحهم الآن ؟

إزابيلا — (برقة وفتنة) .

الآن !

باريس — أى شيء أستطيع أن أهب لهذه

إزابيلا — هذا هو دى الذى يتحرك في الليل لمصيرى .

باريس — لا ! دعيني .

إزابيلا — (تضمه إليها) اسمع !

باريس — إزابيلا !

إزابيلا — لقد ماسكتك ! إني لأتمثل تلك الليلة من الصيف الأخير ، هل تذكر ؟ اذكر أيامنا الملتزمة إلى إيطاليا ، وقبلاتنا في الشرفة الزاهية ، وذلك الكهل الذى كان يتسمم ، اذكر ذلك الكهل ! آه لقد كان في عيوننا قبس من الشمس ، وكانت الأمسيات لطيفة ملائمة لهوانا ؛ ولكن مصر هذه تشبه شيخوخة العالم ، لماذا تنفر من بين ذراعى ؟ هنا أريد أن ألتصق ، هنا عن كذب من هذه الرمال القائمة .

(فتحت النافذة ، وبنت منيفيس ، النجوم ... الطبيعة أبو الهول)

باريس — إزابيلا !

إزابيلا — الى أبى الهول الأعظم الذى ذرف عمره ، الى ألوف الأعوام ، وبلغ من الكبر ما يبلغ حظنا من القصر ، اليه ؛ الى أبى الهول تعال ! (قادت إلى النافذة المفتوحة وهناك في الليل بدأت تنمى له)

إن النهار الأزرق جلبابه ينتهى الآن . والليل طفق يرصع فتقه بالكواكب ، والقطمان تؤوب الى حظائرهما ، وهذا النخيل يشمخ ويتناول كأنما يريد حمل السماء على أوراقه الخضراء ؛ وهذا صوت قيثارة بعيد يصل كرجفة بيضاء . وهناك على قيد خطوات ، فى الجزيرة المتبخثرة زهواً — نسوة ملتهبات متلويات الحصور يرقصن ويرددن بألحانهم الجديدة أهازيح الشمس والنيل ...

باريس — أصغى ، أصغى ، أصغى . هل
تسمعين هذا الآن ؟

إيزابيلا — لا أسمع غير هذا الريح التي
لا يختلف ، يرافقه هدير النهر الكبير .

باريس — آه يا إلهي ، ما العمل ؟
إيزابيلا — لذة الليل تفتح لنا جوها ، وصدى

قبلة واحدة قد يهيجها .
باريس — لا ! إنني أسمع نداء .

إيزابيلا — إنك لا تسمع إلا ندائي .
باريس — إنك — في الحقيقة — لست مهتأة

لسماعه ، ولكن أنا الذي أحيا وسط هذه الرمال
الذهبية ، ذا أذن مرهفة وقد سمعت كل شيء سمعته

كصرخة سفينة ضالة ؛ تجوز الزمان والحدود
والفضاء ... قبلتك ليست بشيء ؛ قبلتك تتلاشى

حين أسمع — غامراً الصحراء متموجاً فوقنا —
هذا النداء الذي يتازع كل شيء من أحلى .

إيزابيلا — كيف تسمعه ضد من يعبدك ؟
هل هنالك صيحة يستطاع سماعها بين قلبين متحابين

يخفقان ؟
باريس — مهما تداني قلبان فالقضاء يمشي

بينهما ، بلى ، بلى ؛ المحى بعيداً نذك الخالد على الدهر
هذا هو العملاق الذي يناديني . إنك تحدثيني عن

القبل ؛ فكري أيتها الابنة البعيدة عن المخاطر ،
فكري في كل ما تقوله لإلهة النيل . إنه يناديني

إزاء النهر الذي لا يبيد . أهو إنسان أم وليد ؟
أم امرأة ؟

إنه أبو الهول : وهو الذي يعلم السر ، ويعلم
لماذا خلقنا ولماذا نحيا . وحين نفكر في أنه يعلم كل

ذلك أرانا نرتعش ! ... إننا — بائسادنا عنه —

الأفئدة التي تعبدني ، آتاري المحرقة تسكن هذا
الاناء ، وكل غابري الناري يرقد في هذا الرخام

الرمادي ، أما أبو الهول ...
إيزابيلا — بأبي الهول ؟

باريس — الوحيد من آتاري ؛ الوحيد الذي
خلد ، هو ذلك الذي طرحته أرضاً وأنا كالوحش

وتقبله الشعب جميعاً بوجهه . بلى ! لقد مزقت كل
شيء من هذه الصحف المسودة ، ولم يبق لي

قصاصة منها .
إيزابيلا — (مادة إليه يدها بالأثر) .

هذا هو !
باريس — إلهي !

إيزابيلا — نعم ؛ لقد قايلت هذه البقايا المبعثرة
الحقيرة ، وأعدت الأثر كله ، فاستنقذت الأثر

النفيس من النسيان ، وهكذا أيقظت أبياته ووقفت
على أشعاره ، وهذا بعض واجب المرأة أن تعيد

نظام ما يبعثره الانسان ، أو تجد ما يبيده .
(ترفع الأثر الذي أنقذته)

ها هو الأثر المنقذ !
باريس — أهو ؟

إيزابيلا — هو الأثر الوحيد الذي ستستطيع
بواسطته أن تجابه نقادك ! أترى أيها التاعس الذي

دمعت عيناه كيف تأسف كفك على تمزيقه . والآن
فاترحل وليسبقنا أرجائتي !

تعال نتروح النسيم ، تعال ونذوق في السكينة
الصخب الذي كانت تغطمك عنه روما ، عد لتعود

شهيراً في بلد السرو ، ودع عنك هذا التخيل الهرم
وهذه الطرق الطائفة غباراً ، وهذا النهر ، وهذه

الصحراء ، وأبا الهول الغريب !
(يهتان بأن ينطلقا متعاقبين ، وخجأة يفصل عنها باريس)

لن نحيا متجاورين معاً ...

إيزابيلا — صه !

باريس — لقد فررت من الأمل واللذة والطموح ، وأصبحت لا أهتم إلا بالأنحاء عليه ، لا هدف لي سواء ! وحياتي تمضي خالية من الحب والأصدقاء ، والآلهة فارغة منك ، ومن الكتب لأن « آباء الهول » في أجواز الصحراء يغارون من القليل — من الإنسانية — التي تجري في نفوسنا كنت أخال أنه هداً وسكن ، ولكنه قد أحس خطواتك المبطنة بالحب ، على هذه الطريق ، لقد شعر — ولا ريب — بخاطر يدام . فهو يناديني بلهجة أكثر عنفاً : « تعال » .

صوت أبي الهول من بعيد — تعال !

باريس — اسمي صراخ هذه الشفة الهامدة ، هاهو يوقظ « مارسيللوس » المتلظى في حماءه . لا شيء . يقف دونه — قلت لك — لا شيء !
(يدخل مارسيللوس صاحب الوجه)

المشهد السابع

باريس ، مارسيللوس ، إيزابيلا

باريس — أسمعت أنت أيضاً ؟ لقد كنت هنالك بجانب إيزابيلا .
مارسيللوس — نعم ! وليس أجمل منه هذه المرة .

باريس — لقد كان صراخاً رقيقاً مرناناً .

مارسيللوس — وواضحاً !

باريس — كان كآله خالد .

إيزابيلا — لم يكن ذاك إلا حفيف الريح بين الأوراق .

مارسيللوس — لا ، لا ؛ لم يكن ذاك بحفيف

هواء ؛ كان أشد من ذلك .

باريس — هل أنت معتقد به ؟

مارسيللوس — كان يقول : « تعال » وقد سمعته جلياً ؛ اسمع أنت ، يجب علينا أن نوافيه ونسمى إليه ، لأنه سيكلمنا هذا المساء ... وذا شيء حقيق .

باريس — شكراً يا مارسيللوس ! إن نظرتك تزيدني يقيناً ، إذ لم أكن واحداً في استمائه ، ولكنه ...

مارسيللوس — يدعوننا في جوف الليل الخائف وكفه الضخمة الرمادية تقنجم السكون . إنه ينظرنا يا أخى . إنه يحمل القمر على جبينه .

إيزابيلا — هل أنتما مجنونان حتى تختطفكما منا ؟ إن هو إلا تمثال بارد طوى ألوف السنين .

باريس — انه سيروى لنا لماذا نحيا على الأرض .
إيزابيلا — انكما ستصدمان الجبين ببيكمه وخرسه .

مارسيللوس — إنه يفسر لنا العناية التي لم يشهد لها أحد منا .

إيزابيلا — باطلاً يشير الانسان على تمثاله .
مارسيللوس — إنه سيدين لنا ما خبأته لنا الأقدار ، وبه نعلم لماذا خرج (لازار) من لحد صاحب اللون كأنه خارج من سرير .

باريس — وجهلنا يمزقنا ويحطمنا .

مارسيللوس — وعن أسرار الموت يحدثنا .

إيزابيلا — كفى ... كفى !

مارسيللوس — كلمات الغد الجديدة ؛ أريد أن أفهم كل هذا ، وإن كان حقيقياً بذلك .

إيزابيلا — أيها الولد ! ان قلبك القرم لا يدري

باريس — هلم لنعلم هذه الشعلة لماذا تلتهب ،
ثم بعد يوم نحمد ؟ تعال ! فما أقصر هذا الغياب
بالنسبة للغياب الثاني . انه سيقول لنا كل شيء .
تعال !

إزابيلا — قفا ! فالدار بيضاء مخفوفة بفراش
الآس ، والريح تمول في الليالي الأكثر عجا ، هنا
خصائل النساء التي تلوح سوداء ؛ هنا الفن والحب
والطرق المعجبة . . .

صوت أبي الهول — تعالوا . . .

باريس — اسمعيه يجيبنا
(خاتمة تعصف الزوبعة ، والبروق تلمع خلال السماء
وعلى ضوئها يلوح أبو الهول)
أبو الهول — تعالوا . . .
إزابيلا — (متعلقة بهما)
لا !

مارسيللوس — ان نداهه العالي يشق حنادس
الظلام ، اننا نتبعه حتى أطراف العالم
أبو الهول — تعالوا . . .
باريس — لا نتردد ! لنمش من غير ارتعاش
ولا وجل !

إزابيلا — ابقيا !
أبو الهول — تعالوا . . .
إزابيلا — ابقيا . . .
أبو الهول — تعالوا . . .
إزابيلا — ابقيا . . .
أبو الهول — تعالوا . . .

(يبدو من الشرفة أبو الهول يلعب عليه القمر ،
إزابيلا تمشي ، ومارسيللوس وباريس ينسلان في الليل
بينما كان صوت أبي الهول يتردد)

(يتبع) خليل هنداري

ما يقول في المسائل الكبرى ليس لها جواب ،
وكما زاد التنقيب في السمي وراء حكم هوأى زادنا
ذلك أننا لا ندرى شيئاً .

مارسيللوس — ولكنني سوف أنزع من
هذا المارد جواباً كاملاً .

إزابيلا — وان بك اغزاً فانه من حجر .

باريس — لا لا : فلقد رأيت جفونه يرتعش

إزابيلا — ذلك قلبك الذي يدق بالقرب

منه .

مارسيللوس — وسمك في أعماق نفسي كلامه .

إزابيلا — ذلك فؤادك الذي زاد وجيبه

ألا ينبغي الذهاب نحوه ؟ حقاً ان هذا الدليل لرائع

والفراغ المظلم عملاً الوادى . ولكن هنالك الحب ؛

هنالك النور ، والورود التي يداعبها الريح .

كنت تحبها قبلاً . . .

باريس — أحببناها يوم كانت أفئدتنا هادئة .

دعينا نمر !

إزابيلا — سيبرز الفجر .

باريس — دعينا .

إزابيلا — هنالك حلاوة الوجود ولولم يفسر

معناه ؟ والصيف ؟ أليس هنالك الصيف الذي

يسطع على الأكوان ؟

هنا لذة غدائر النساء الشقراء أيها الفتيان !

هنا لذة بأيدينا ! فلا تمدوا وراء أبي الهول فانه

يقتلكم .

باريس — (آخذاً بيد مارسيللوس)

وأنت لم ترتجف في حين مثل هذا الارتجاف . . .

مارسيللوس — انى أفكر في « سانتيا » التي

ترقد هنالك . سرعان ما يخمد الحب غالباً اذا ترك .